الكتابة على طريقتي

بقلم

وليد رشاد

المدينة للإعلام والنشر

٢٠٠٦

رقم الإيداع : ٢٠٠٦/١٥٣٢٤

الترقيم الدولى .I.S.B.N : 977-6130-16-X

اهداء

الي اجمل ايام عشتها في حياتي
تحركت فيها البسمه علي شفاهي
وترقرقت فيها الدمعه في عيوني
وبين تلك البسمه وهذه الدمعه
ادركت اني استحق لقب انسان

مقدمة

رغم حبى للفكاهة والمرح ورغم شخصيتى التى يغلب عليها الطابع الكوميدى ورغم ان اغلب كتاباتى تسيطر عليها روح الابتسامة الا اننى لم اكتشف اننى يمكن ان ادخل عالم الكتابات الساخرة الا عندما ظهر الى النور كتابى الاول " حدوتة افريقية " فرغم انه كتاب رياضى يتحدث عن بطولة الامم الافريقية بشكل توثيقى الا اننى حاولت ان اخرج من جو الاحصائيات والارقام الخانق الى الجو الكوميدى اللطيف من خلال بعض المفارقات الساخرة والعناوين اللاذعة ولم اتوقع هذا التجاوب الكبير مع هذه المفارقات او تلك العناوين الا اننى فوجئت ان الجميع اهتم بها . لدرجة جعلت البعض يؤكد لى انه رغم انه لا يعرف شيئاً عن كرة القدم وان ثقافته حولها لاتزيد عن ثقافتى حول الذرة الا انه قرأ الكتاب فقط من اجل هذه العناوين الطريفة وهنا ادركت اننى كنت موفقاً الى حد بعيد حينما تفرغت اسبوعاً كاملاً من اجل اعداد تلك العناوين لتظهر بهذه الصورة الجذابة وادركت ان جهدى فى ابتكارها وتعديلها ثم اختيار افضلها لم يذهب ادراج الرياح .

والاهم ان ذلك لفت نظرى الى ملاحظة فى غاية الدقة وهى اننى بالفعل امتلك قدرات (اعتقد انها لا زالت محدودة) فى مجال الكتابة الساخرة لكى انشرها فى كتاب جديد يخرج بي من دائرة القراء الرياضيين المحدودة الى الدائرة الاشمل وهى دائرة القراء من كل الفئات .

ولذلك حاولت ان اعيد ترتيب الافكار فى ذهنى فى محاولة لاسترجاع بعض من المواقف الكوميدية التى تحفل بها حياتى سواء كنت قد حضرتها او شاهدتها او سمعتها او حتى قرأتها لاخرج بهذه المجموعة اللطيفة من المقالات الساخرة من

بين الاف المواقف والمفارقات التى مرت بى طوال حياتى وقـررت ان التـزم فـى صياغتها بنفس المنهج الذى اتبعته فى كتابى الاول وهو الابتعاد عن الالفاظ البذيئة والالتزام قدر الامكان باللغة العربية او حتى العامية المقبولة اجتماعياً كما صـممت على الا يكون هدف الكتاب الضحك من اجل الضحك رغم ان الاضحاك فى حد ذاتـه هدف نبيل . الا اننى وضعت الكوميديا والضحك فى اطار اوسع واشمل وهو مناقشة بعض مشكلاتنا الاجتماعية والسلبيات التى نعانى منها فى مختلف المجالات سـواء كانت سياسية او اجتماعية او ثقافية او حتى رياضية ..

****

فواتير .. فواتير .. فواتير

لا اعرف على وجه التحديد متى واين ظهرت اول فاتورة فى التاريخ لكن مـا اعرفه على وجه اليقين انه لابد ان تكون قد ظهرت فى عصر من عصور اضمحلال التاريخ لانه لا يمكن لاى حضارة انسانية محترمة ان تخترع شئ ليعكنن على الناس ويفسد نومهم ويسد نفسهم عن الحياة بشكل عام . واستطيع ان اؤكد ايضاً ان الرجل الذى اخترع الفاتورة كان من النوع السماوى والصفراوى الذى يكره ان يعيش غيره فى سعادة وهناء فقرر ان يبدل سعادتهم حزناً وهناءهم شقاءاً بهذا الاختراع الاستفزازى .

ولكن حتى لا نظلم التاريخ ونظلم معه مخترع الفاتورة الذى لم يكن يحلم فى يوم من الايام بان تصل نتائج اختراعه المدمر لاستفزاز البشر والعكننة عليهم الى ما وصلت اليه فى مصرنا المحروسة فى هذه الايام .

لانه حينما اخترع الفاتورة لم يكن هناك سوى نوع واحد من الفواتير وهو النوع الذى يحصل مرة واحدة فى العمر كله ولم تكن قد اكتشفت بعد الفاتورة السنوية ونصف السنوية والفصلية والشهرية واليومية !! وحتى ان كانت موجودة فقد كانت قاصرة الآن على جوانب معينة من الحياة اما الان فقد اصبحنا نرى الفواتير فى كل كل مجالات الحياة دون استثناء وبعد ان كانت الفواتير ابيض واسود اصبحنا نراها بالالوان واحياناً بالبعد المجسم ولم لا ؟ فالالوان هى الوان العذاب التى يلاقيها الفرد لتسديد هذه الفواتير سواء من حيث جمع قيمتها المادية او حتى فى طابور تسديدها والبعد المجسم هو تخيل الكوارث التى يمكن ان تحل على الفرد اذا تقاعس عن تسديدها والتى تعد ابسطها الغرامة او فصل الخدمة او شيل العدة !!

وحتى فترة قريبة كانت الفواتير طيبة وبنت حلال ولا تطلب من دنيتها الا الصحة والستر والصحة هى الاقرار بدقة ارقامها والستر هو ان يسترها المواطن وما يفضحهاش ويفوتها اذا اكتشف بالصدفة وجود اخطاء فى هذه الارقام لان الاخطاء وقتها كانت معقولة وكانت الامور مقبولة ..

الى ان فوجئنا فى نهاية القرن الماضى بالارتفاع الجنونى فى كل انواع الفواتير بلا استثناء وتصورنا انها حالة مصاحبة لنهاية القرن ونهاية الالفية وان الامور ستعود مية مية وسوف تعود الى الميزان بعد نهاية حالة عدم الاتزان الا ان الامور سارت بما لم يكن فى الحسبان .

وظهر الملعون فى كل الفصول الجهاز الذى يسمى المحمول بفواتيره الجنونية وخدع شركاته الجهنمية واصبح الحال غير الحال وصار المحمول فى ايدى العيال وصار الجميع يشكو من قلة المال . وصارت فواتير المحمول والتليفون هى اصعب انواع الفواتير والتى يدفع فيها الشئ الكثير . واشتكت الناس بانها باعت النحاس من اجل حاجات لم يكن لها اهمية من الاساس ولكنهم فقط يريدون تقليد بقية الناس والنتيجة ان الكل اصبح محتاس .

ونتيجة لشكاوى الناس فقد قررت شركة التليفونات تغيير تعريفة الاتصالات وتوهمنا ان الشركة الذكية سوف تجعل الامور مية مية الا اننا اكتشفنا ان التعريفة الجديدة هدفها فى الاساس تنظيف جيوب الناس من كل ما هو ورق او نحاس ولذلك قبل ان تقع الفاس فى الراس انقسمت الناس الى فالح ومحتاس !!

****

مولد سيدى العندليب

. كل عام عندما يحل ميعاد ذكرى العندليب الاسمر " عبد الحليم حافظ " تنتابنى حالة من الاكتئاب والملل الشديد وقد كنت اتسائل دائماً عن السر وراء هذه الحالة الغريبة او بمعنى اخر كانت حاموت واعرف هذا السر !! وحاولت تفسير ذلك بان قصة حياة حليم بها الكثير من المعاناة فى جميع مراحل حياته ولذلك فان التعاطف الوجدانى معه يجعلنى اتعايش مع قصة حياته واتقمص شخصيته فاكتئب لما حدث له من اشياء درامية حزينة . وقبل ان اتهم بانى عايش فى دور " عبد الحليم حافظ " احب ان اوضح اننى والحمد لله اكتشفت اخيراً السر الحقيقى وراء هذه الحالة العجيبة التى تصيبنى وعرفت انه ليس لها علاقة بالتقمص الوجدانى او التعاطف الوجدانى ولكن لها علاقة بالملل الشديد من التكرار والتشابه بين البرامج والمقالات والتحقيقات التى تستغل ذكرى العندليب وتستثمرها اعلامياً بشكل مكرر كل عام لدرجة ان البعض يعتبره بمثابة العيد الاعلامى وفرصة لا يجوز تفويتها لتعذيب الجماهير وتذكيرهم بالعندليب بطريقة كل عام وانتم بخير اليوم ذكرى رحيل العندليب .. ولى عدة ملاحظات حول هذا الاستغلال الاعلامى :

* يتكرر كل عام فى ذكرى "عبد الحليم " عدد محدد من الاشخاص بحيث اننا نشاهدهم على كل قنوات التليفزيون واذا اغلقنا التليفزيون سمعناهم فى الراديو واذا اغلقنا الراديو وجدنا انهم على صفحات الجرائد والمجلات واذا اغلقنا الصحف وجدناهم يتسربون لنا من تحت عقب الباب ويكررون على مسامعنا نفس الكلام الذى حفظناه وكرهنا معه طريقتهم المكررة فى سرده . وفى محاولة للتنويع تلجأ بعض القنوات للاسف الى الاستعانة بكثير من الاشخاص الذين ليس لهم اى علاقة بالعندليب اللهم الا انهم سلموا عليه او شاهدوه فى السينما او سمعوا اغانيه

والعجيب ان اى واحد من هولاء يدعى امام الشاشة انه كان اقرب اصدقاء " حليم " وانه الوحيد الي يعرف كل اسراره ويؤكد انه لم يتزوج فلانة او يصادق فلانة لدرجة اننى تمنيت من كثرة الاصدقاء المقربين لعبد الحليم ان يخرج عبد الحليم مرة واحدة من قبره ليقول لنا من كان صديقه المقرب ثم يعود مرة اخرى حتى يحسم هذا الصراع الرهيب واشك ان يكون صديق حليم المقرب واحد من هولاء بل الارجح ان يكون صديقه شخص اخر لم نعرفه ولن نسمع عنه لانه شخص يحترم ذكرى صديقه المتوفى وليس مثل هولاء المرتزقة !!

* الاهم من ذلك الاصرار العجيب من خلال هذه البرامج والتحقيقات والمقالات على تصوير العندليب على انه ملاك من السماء وانه كان ملهماً وغير ذلك من الصفات العبقرية وللاسف لا تحدث هذه المشكلة مع العندليب وحده وانما مع كل الشخصيات الهامة الراحلة وظهر هذا واضحاً فى مسلسل " ام كلثوم " التى تم اظهارها فيه على انها لا تخطئ أبداً (والعياذ بالله) وكلما حاول شخص الاعتراض على ذلك اتهموه بانه ضمن حزب اعداء النجاح وانه عميل يحاول تشويه الرموز المصرية رغم ان المحافظة على الرموز لا تكون بتحويلهم الى الهة لا يخطأون وانما تكون بالتأكيد على طبيعتهم الانسانية وضعفهم البشرى لكى يمكن للجميع ان يقتدى بهم دون ان يشعر بالضألة والعجز امامهم بل على العكس يشعر ان هولاء الناس يأكلون ويشربون مثلنا وممكن بقليل من المجهود ان يسير على دربهم .. وهذا ما يحدث فى الغرب وللاسف الشديد لا يحدث عندنا فهم حينما يقدمون الرموز يقدمونهم فى صورة انسانية بسيطة مثلما فعلوا مع " جاكلين كيدى " رغم انها معشوقة الشعب الامريكى فلم يقدموها على انها قديسة بل على العكس قدموا فى

المسلسل الذى يحكى قصة حياتها كل عثراتها واخطاؤها البشرية فمتى نـصل فـى مصر الى هذا المستوى من المصداقية ؟؟!!!!

وحتى نصل الى هذا المستوى اعتذر لكم عن استكمال الكتابة لاننى احاول ان استفيد استفادة مزدوجة من ذكرى انتحار سعاد حسنى او " ستنا سعاد " بالاضافـة بالطبع الى الاستفادة من ذكرى رحيل " سيدى العندليب " بان اعمل مولـد لهمـا او بالمفهوم الحالى اكتب عنهما كتاباً خطيراً سوف يكشف عن اسرار زواجهما السرى وسوف افصح فيه عن مفاجأة مذهلة باننى كنت الشاهد الوحيد على هذا العقد رغـم اننى ما كنتش لسه اتولدت ....

****

اديتك رنة

قديماً كانوا يقولون لنا انتوا ايامكم ايام سودا .. ولا اعرف لماذا يصر البعض على تلوين الايام رغم ان الايام طول عمرها ليس لها لون وزاد عليها في الفترة الاخيرة انها اصبحت بلا طعم ولا رائحة مثل الماء والهواء .

وكنا نتسائل فيما بيننا عن السر وراء ذلك فنكتشف من خلال احاديثهم اننا نعيش الزمن الردئ او زمن حاتم زهران !! نتيجة لتدهور العلاقات الاجتماعية الى الحضيض من حيث اقتصار الزيارات والتراحم العائلي على المكالمات التليفونية والثرثرة على خطوط الهاتف .

وكنا وقتها دائماً ما نرد عليهم بالردود الجاهزة والقوالب المحفوظة بان زماننا غير زمانهم وباننا نعيش عصر السرعة .. لكنني احمد الله ان هؤلاء السلف لم يعيشوا حتى هذه الايام التى تخطت عصر السرعة الى عصر التيك اواى ليكتشفوا ان المكالمات التليفونية التى كانوا يعترضون عليها صارت ترفاً لا يقدر عليه الا اثرياء القوم بعد تعريفة شركة الاتصالات وتسعيرة شركات الموبايلات .

واحمد الله انهم لم يعيشوا الى ذلك العصر الذى اصبحت فيه الرنة او الرسالة القصيرة او المكالمة الخاطفة هى اسمى امانينا وهى المراد من رب العباد فمثلاً لو كان الواحد منا يريد الاخر فانه يرنله واذا كان يحتاجه فى امر ضرورى فانه يرسل له رسالة اما إذا كان بقى خلاص حيموت عليه ممكن يتجاوز ذلك ويكلمه دقيقة ويقفل بسرعة قبل ما يدخل فى الدقيقة التانية والكارت يخلص !! وظهرت بالطبع المصطلحات الشبابية التى واكبت هذه الثورة التكنولوجية الخطيرة وهى اديله رنة ،

اديله ميسد كوول ، اديله رسالة واخيراً اديله فى سنانه لو ما ردش على كـل ده .. ولا زلت اذكر حتى الان صديقى العزيز الذى حالت ظروف الحياة بيننا فبعد ان كنـا نلتقى اسبوعياً فى جلسات طويلة نستعيد خلالها احداث الاسبوع التى مرت على كل منا . تحولت هذه اللقاءات الاسبوعية الى مكالمات تليفونية طويلـة منتظمـة ثـم متقطعة وبعد ظهور الموبايل تحولت المكالمات التليفونية الى محادثات سريعة عـن طريق الرسائل القصيرة ثم فى النهاية نزلنا اسفل سافلين ودخلنا بحر الظلمات (يـا لطيف اللطف يا رب) واصبحت العلاقة بيننا قاصرة على الرنات المنتظمة ثم الرنات على فترات طويلة ثم صارت الرنات كل ما حد فينا يفتكر التانى !!

ولذلك لا يمكن ان انسى اننا حين التقينا بالمصادفة بعد فتـرة غيـاب طويلـة بادرته بعتاب طويل بسبب عدم اتصاله فاعاد الكرة فى ملعبى وقال لى لماذا لم تتصل انت فقلت له انا كنت بارنلك فرد على " كابتن .. كابتن هـو كلـه رن .. رن .. رن مفيش مكالمات ولا ايه !! " .

****

ابو العريف

لم اصادف فى حياتى نموذج انسانى اكثر غرابة من هذا الشخص ولولا دقة حديثه وسلامة الفاظه لاتهمته على الفور بانه من الذين يعانون من بعض الاختلال العقلى . والطريف اننى لم اتعامل معه الا لمدة نصف ساعة فقط وهى الفترة التى ركبت فيها التاكسى الخاص به فى احد المشاوير البسيطة او مشوار من اللى بخمسة جنيه ده طبعاً قبل اختراع تاكسى العاصمة اللى العداد فيه بيفتح على ٥و٣ وانت بقى يا جميل ومشوارك والكيلو بجنيه والحسابة بتحسب ...

ونعود لصاحبنا الذى بادر بعد ان عرضت عليه المشوار بالموافقة مرحباً ثم ركبت السيارة الى جواره وربطت الحزام وتأكدت من ربط حزام البنطلون خوفاً من صدور قانون مفاجئ حول هذا الحزام ايضاً مثلما حدث مع حزام السيارة مما جعلنى اهتف فى داخلى يا خفى الالطاف نجنا مما نخاف !!

وبعد فترة جس النبض التقليدية بادرته بالحديث عن سوء حالة الشوارع فى مدينة القاهرة لان اى شوية مطر بتكشفها على حقيقتها وتخرب الدنيا وتعطل المرور ثم تحدثنا عن اهمال شبكات تصريف مياه الامطار التى كانت موجودة فى الشوارع القديمة وتم اهمالها وعدم وجودها من الاساس فى الشوارع الجديدة .
وفى هذا السياق وردت منى مقارنة عابرة بين مدينتى القاهرة والاسكندرية وليتنى لم اذكر كلمة الاسكندرية او لم اركب هذا التاكسى او لم انزل من بيتى فى زيارة تقليدية الى خالتى من الاساس !!

لانه من الواضح ان اسكندرية كانت هى كلمة السر لاخراج مارد الحديث من فمه فبعد ان كان الحديث مشتركاً بيننا تحول بفضل هذا الكلمة السحرية الى محاضرة متواصلة منه واستماع ذاهل وتعليقات مقتضبة منى !!

فقد فوجئت به يبادرنى بانه لا وجه للمقارنة بين المدينتين لان الاسكندرية مدينة حديثة لا يزيد عمرها عن ٢٠٠ سنة !! بينما القاهرة من اعرق المدن العربية وعبثاً حاولت ان اوضح له ان الاسكندرية اقدم تاريخياً من القاهرة ويفارق ضخم من السنوات لكنه لم يعطنى اى فرصة ..

ثم حاولت ان اخرج به من هذه السقطة التاريخية دون ان اجرح مشاعره فاكدت له ان مدن القناة مثل بورتوفيق وبو فؤاد والاسماعيلية هى بالفعل مدناً حديثة اما انها انشأت لاول مرة او انها اقيمت على اطلال مدن قديمة فى القرن التاسع عشر لانها ببساطة اقترنت باسماء اسرة محمد على التى لايزيد عمرها فى مصر عن ٢٠٠ سنة ..

الا انه اصر اصراراً عجيباً على هذه المغالطة التاريخية مؤكداً ان مدينة الاسكندرية لم تظهر الى الوجود الا قبيل الحملة الفرنسيةعلى مصر وفرحت كثيراً عندما سمعت عبارة " الحملة الفرنسية على مصر" وادركت ان الرجل مدرك للاحداث التاريخية وربما فقط لم تسعفه قدراته الذهنية على تصور امكانية وجود الاسكندرية قبل ذلك !! ولكن فرحتى لم تدم طويلاً حيث بدأ يستعرض لى بمنتهى الثقة تاريخ الاسكندرية موضحاً ان الروم اخذوها من الفرنسيين وبعدها اخذها المماليك ثم العثمانيون ثم بدأ يسرد دور الاسكندر الاكبر فى هذه الصراعات التاريخية . ودفعنى فضولى الصحفى الى استكمال الاستماع الى هذه الحديث الهزلى فوجدت انه بدأ يتحدث عن الاستعمار الانجليزى وقال لى انه استمر حوالى ٨٠ عاما فى مصر وهو رقم غير مبالغ فيه لان الاستعمار الانجليزى استمر فى مصر ٧٢ عاماً فقط من (١٨٨٢_١٩٥٤) وحمدت الله انه بدأ يستعيد صوابه الا اننى صدمت صدمة شديدة

حينما اكد لى ان الاستعمار الانجليزى بدأ سنة ١٩٠٨ وبحسبة بسيطة وفقاً لارقامه الدقيقة نكتشف ان المفروض ان الانجليز تركوا مصر عام ١٩٨٨ وتخيلوا الموقف لان معنى هذا ان الانجليز خرجوا من مصر بعد الثورة بمدة ٣٦ عاماً وانهم خرجوا بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ وفى عصر الرئيس مبارك !!!

وكان طبيعياً طالما انه تحدث عن الانجليز ان يتحدث عن ثورة يوليو وانجازاتها واكد لى ان اهم تلك الانجازات هو السد العالى (وله الحق فى هذا) ولكنه يرى ان اهمية السد تتركز فى انه غير شكل القاهرة من حيث اضاءة الشوارع لانه لم يكن هناك بها شوارع مضاءة قبل ذلك الا شارع الزمالك وان عبد الناصر صمم حينما سار فيه ان يجعل كل شوارع القاهرة منورة مثله علشان تبقى القاهرة منورة باهلها

ثم قاده حديثه عن السد العالى الى الحديث عن الطاقة الكهربائية واكد لى ان معدل استهلاك الكهرباء ارتفع فى الفترة الاخيرة بشكل جنونى حيث كان لا يزيد فى البداية عن ١٠٠٠ كيلو وات مربع للفرد فى السنة ووصل الان الى ١٠٠ الف كيلو وات مربع للفرد فى السنة (و حتى يومنا هذا لا ادرى على وجه الدقة ما علاقة المربع بالموضوع لان الذى اعرفه ولقنوه لنا فى المدارس زمان ان المربع هو وحدة قياس المساحات فقط !!). ورغم كل هذا الهزل والتخريف الذى يشبه كلام نجم الكوميديا " اسماعيل ياسين" فى افلامه الا ان قمة الهزل جاءت عندما حاول ان يقدم لى التفسير العلمى حول ديناميكية العمل فى السد العالى وهو الشرح الذى لم اسمع مثله من قبل سواء فى المدرسة او حتى الشارع وأثق اننى لن اسمع مثله فى المستقبل حيث اكد لى انه فى ايام " عبد الناصر" كان يتم توليد الكهرباء عن طريق ثمانية مولدات بحيث تعمل اربعة منها وتظل الاربعة الاخرى احتياطى !!

اما الان فقد تغير النظام للاسف لغباء المسئولين عن السد العالى فرغم زيادة عـــدد المولدات الى ١٦ مولد فقد اصبح يتم تشغيل ثمانية بالنهار وثمانية بالليل حتى يـــتم التخفيف عن الثمانية الاوائل التى تعمل صباحاً ولذلك فهو يرى ان هذا النظام فاشل بكل المعايير لانه لا يوجد اى مولدات احتياطى !!

ورغم اننى حاولت من البداية التماسك الشديد الا اننى كتمت بصعوبة شـــديدة ضحكة سخرية كادت ان تنطلق منى رغماً عنى حينما ذكر لفظ احتيـــاطى !! وقلـــت لنفسى عنده حق صحيح ايه الخيبة ديه ازاى يعنى يتم توليـــد الكهربـــا مـــن غيـــر مولدات احتياطى !! يعنى لو مولد اتصاب اثناء التشغيل مين ينزل مكانه من علـــى الدكة !! وكمان لو حبينا نغير معدل توليد الكهربا ازاى ما يبقاش فيه بـــره " مولـــد صلاح الدين " نجم الاهلى السابق ينزل يخلص الماتش ويغير النتيجة ويعدى الليلة الكـــــهربية !! ولم يقطع هذا الحديث الممتع الا وصولى الى بيت خالتى وعندها لم يعد هناك مبرراً للبقاء داخل التاكسى واضطررت للنزول ودفع المعلـــوم او الخمـــس جنيهات ولم اعرف اذا كنت ادفع ثمن التوصيلة ام ثمن المحاضـــرة الكوميديـــة ثـــم مشيت فى الشارع وان فى شدة النقمة على الحكومة لانها لا تستفيد من وجود مثل هولاء الخبراء المتخصصون فى المجتمع المصرى كما اننى قررت انا ارمـــى فـــى الزبالة كل الكتب التى املكها وان امسح من ذهنى كل المعلومات التاريخية الخاطئـــة التى حشروها فى دماغنا خلال مراحل التعليم المختلفة ومن خلال وسائل الاعلام عن التطور التاريخى وانتقال الحضارة من الفرعونية الى القبطية الى الاســـلامية الـــى العصور الوسطى ثم الحديثة . لكى يكون مخى على الزيرو وجاهز لاستقبال الحقائق التاريخية الجديدة التى سمعتها من هذا المؤرخ العظيم !!

****

الدروس الخصوصية

لا زلت اتذكر حالة الرثاء التى كانت تنتابنى ومعى معظم زملائى فى المرحلة الابتدائية عندما كنا نكتشف ان هناك تلميذ معنا بالمدرسة او الفصل يعتمد على مدرس خصوصى فقد كنا نشفق على حاله الذى يصعب على الكافر ونلعن ظروفه التحصيلية المتواضعة التى دفعته الى الاعتماد على الدروس الخصوصية بالاضافة الى محاولة البعض التهكم عليه والسخرية منه على اساس ان الدرس الخصوصى كان وصمة عار فى هذه الفترة . ولا يمكن ان انسى حمرة الخجل التى سيطرت على وجه صديقى الذي كان يذاكر معى فى المنزل فى الاعدادية حينما اكتشفت بالمصادفة يوم النتيجة ان هناك مدرساً خصوصيا كان يساعده فى المنزل ولكنه كان يخجل من ان يصارحنى بذلك خوفاً من سخريتى وتهكمى واتهامى اياه بانه عيل فاشل !!

ولكن الامور تغيرت الان كثيراً وانتشرت الدروس الخصوصية فى كل مكان وزمان واصبح الامر الذى كان يعتبر عيباً حتى وقت قريب شيئاً طبيعياً لانهم كما يقولون فى علم النفس ان الانسان حينما يتعود على رؤية شئ خاطئ باستمرار فانه مع الوقت يألفه ويتعايش معه حتى يصل الى مرحلة ادمانه واعتباره القاعدة وما عداه استثناء. وهذا هو التطور الطبيعى للحاجة الساقعة قصدى للدروس فبعد ان كانت جريمة وعيب صارت استثناء ثم عادة ثم ادمان ثم الى السجن اذا كانت اخلاقك زى اخلاق اخينا ده !! وبالتالى اصبح الشئ غير التقليدى والذي يلفت الانتباه هو وجود طالب لا يعتمد على الدروس الخصوصية او بمعنى ادق يعتمد على نفسه .

وكما تدخل الاعتبارات الاجتماعية فى كل عناصر الحياة بداية من الطعام ومروراً بالملابس ونهاية بالاكسسورات كان طبيعياً ان تتحول الدروس هى الاخرى

الى مجالاً للدعاية الاجتماعية ومسرحاً للفروق الطبقية ولذلك لم يعد غريباً ان تجـد ام او اب يفتخر بان ابنه او ابنته يدرس مع المدرس الفلانى او المدرســة الفلانيــة اللى حصتها بكام جنيه او ان ابنه يحصل على الدروس بمفرده فى المنزل وليس فى مجموعة مع ولاد الناس اللى تحت ..

ورغم ان هنا ليس مجالاً لمناقشة ازمة الدروس الخصوصية التى تسيطر على التعليم فى مصر وتعانى من اثارها المدمرة كل البيوت المصرية بلا استثناء ســواء على المستوى المادى او التربوى او الاخلاقى لانها نسفت العملية التعليميــة مــن الاساس وقضت على الدور التعليمى والتربوى داخل المدارس وحجمت الدور الرقابى فى المنازل لان الاولاد والبنات اصبح من حقهم الخروج فى اى وقت والعودة فى اى وقت بحجة الدروس وكله يهون من اجل المجموع وكليات القمة ..

الا اننى احب ان اضع مجموعة من علامات الاستفهام وهــى : مــا هــو دور المدرسة اللآن فى ظل كل هذه المتغيرات ؟؟ ولماذا يذهب اولادنا من الاساس الــى المدارس كل يوم وماذا يتعلمون بها بعد ان تم تفريغها من اى مضمون تربــوى او تعليمى ؟؟ وهل رغبتنا فى تقليد الغرب فى ظاهرة التعليم عن بعد جعلتنا نبتكر صيغة مشابهة ولكن وفق المعايير المصرية على ان نسميها التعليم فى البيــت بــدلاً مــن التعليم عن بعد بحيث يصبح شعار المرحلة القادمة " خليك فى البيت واحنا نجيلك ".

واتمنى ان اجد اجابة سريعة على هذه التــساؤلات قبــل ان تتحــول جميــع المدارس الى مدرسة " سعيد صالح " فى مسرحية " العيال كبرت " التى ذهب اليهــا فوجدها خاوية فضرب الجرس ووقف طابور ثم صعد الى الفصل فشرح لنفــسه ثــم عاتب نفسه لانه مش مذاكر واخيراً رفت نفسه من المدرسة علشان يريح ويستريح.

****

رفح _ غزة _ رام الله !!!

كنت اتحدث مع احد الاشخاص حول الاوضاع فى فلسطين ومستقبل الانتفاضة ومصير الفلسطينين وغيرها من الامور التى تسيطر على الشارع العربى ففوجئت به يبادرنى بسؤالاً ساخراً عن مستقبل الوضع فى المنطقة بعد ابادة الشعب الفلسطينى فى ظل الاهمال الدولى والتراخى العربى الواضح ازاء ما يحدث هناك . ولم افهم على وجه التحديد الهدف من هذا السؤال فقررت ان اصمت لعله يوضح لى من خلال حديثه التالى الهدف من وراء هذا السؤال الساخر وحاولت خلال فترة الصمت ان اضع فى ذهنى تصورات لما يمكن ان يكون الهدف وراء هذا السؤال وتخيلت انه مجرد مقدمة سوف يتحدث بعدها عن المهزلة التى تحدث هناك والمذبحة المتعمدة التى تحدث للشعب الفلسطينى وانه يجب على جميع الدول والمنظمات ان تتحرك بسرعة قبل ان يفوت الاوان ويتعرض الشعب الفلسطينى بالكامل الى الفناء .

الا اننى بعد فترة الصمت القصيرة فوجئت به يستكمل حديثه بنفس الشكل الذى اعتقدت انه ساخراً فى البداية ولكننى اكتشفت انه جاداً بمرور الوقت فقد فهمت المقصود من سؤاله بمجرد ان بدأ فى الاسترسال فى الكلام فقد اكد لى ان الشعب الاسرائيلى لن يجد امامه الا العمالة المصرية بعد ان يبيد الشعب الفلسطينى عن اخره لان المواطن الاسرائيلى مثل المواطن الامريكى والاوروبى وحتى الخليجى لا يقبل على الاعمال الكتابية او الحرفية او المتواضعة وانهم يعتمدون الان بشكل اساسى على الفلسطينيين فى هذه الاعمال التى لا يفضلون القيام بها .

ولكن الوضع سوف يتغير بعد ابادة الشعب الفلسطينى فلن يجدوا امامهم غير العمالة المصرية وكنت اسمع حديثه متعجباً ولاننا فى مصر لا نملك فى الازمات

الا الابتهال الى الله او السخرية حتى قيل عنا اننا شعب ابن نكتة واشـتهرنا علـى مدى التاريخ باننا لا نواجه مشاكلنا ولكننا فقط نسخر منها !!

فقد قررت ان اعود لطبيعتى المصرية محاولاً ان اخرج به من نغمـة الجديـة التى بدأت تسيطر على كلامه وحاولت ان اتحدث بنبرة سخرية واضحة واكدت له ان كلامه صحيح وانه بعد الفراغ من الفلسطينيين لن يبقى امامهم الا العمالة المصرية وانه فى خلال سنوات قليلة يمكن ان تظهر موجة جديدة من نزوح العمالة المصرية الى الخارج ولكن ليس الى الخليج كما حدث فى السبعينات ولكن الى اسرائيل هـذه المرة والفارق الوحيد ان العامل المصرى سوف يعود من اسرائيل حاملاً الفيديو سى دى والدش بدلاً من الفيديو والكاسيت التى كان يعود بها ايام موجة الخليج .

وتماديت فى سخريتى واكدت له ان المصريين تجار شطار وكما نجحـوا فـى استثمار الاحداث هناك للترويج للكوفية والشال الفلسطينى والتى شيرتات المطبـوع عليها صور الانتفاضة وكما ان سائقى الميكروباص نجحوا ايضاً فى تشغيل عربـات تذهب الى مدينة السادس من اكتوبر والحى العاشر والقاهرة الجديـدة بعـد امتـداد العمران اليهما فى نهاية التسعينات فاننى لا استبعد ان تظهر مع هوجة سفر العمالة الى اسرائيل ميكروباصات تطلع من ميدانى التحرير ورمسيس ويقول المنادى عليها غزة _ رفح _ رام الله !!!!

****

السينما

تميزت السينما المصرية بظاهرة الموجات طوال تاريخها الطويل بداية من الاربعينات حيث ظهرت موجة الافلام الاستعراضية وسيطرت على السينما فى مصر وكان الجميع يتسابقون على تقديم افلام استعراضية سواء كانوا منتجين ام مخرجين وظهرت فى تلك الفترة افلام استعراضية ضخمة مثل افلام " انور وجدى" ، " ليلى مراد " وافلام " فريد الاطرش " ، " سامية جمال ".

ثم ظهرت بعض الثورة موجة الافلام الوطنية مواكبة لاحداث الثورة ونمو الوعى الوطنى والقومى وظهرت افلام مثل " رد قلبى " ، " الله معنا " ، " الله يخرب بيوتكم " . اما فى فترة النكسة فقد ظهرت موجة جديدة من افلام الجنس الصريح لم تعرفها مصر من قبل فى محاولة لالهاء الشعب المصرى عن الخيبة الثقيلة . وفى السبعينات ظهرت افلام استهلاكية صور معظمها فى الخارج فى قبرص واليونان ولبنان لمواكبة فترة الانفتاح ثم ظهرت افلام المقاولات فى بداية الثمانينات والتى سيطرت على السينما كما لم تسيطر اية موجة من قبل لدرجة ان المنتجين كانوا ينتجون افلاماً من هذه النوعية فى اسبوعين او ثلاثة على اقصى تقدير !!

مما حفز بعض التجار على المغامرة باموالهم فى هذه التجارة مضمونة الارباح ودخلت وقتها السينما مصطلحات جديدة مثل المنتج الفنان والمنتج ابو قردان والفيلم حيفرقع فى السوق ويمكن يفرقع فى وشك!! وكذلك تعبيرات مثل عبى الفيلم وبيع الفيلم ونام على الفيلم وشيل الفيلم من الارض قصدى من السينما !! وحدث هجوم فظيع من النقاد على هذه الموجة من الافلام التى تمثل نسبة غير قليلة فى تاريخ السينما المصرية كما انها ساهمت فى ارتفاع اسهم عدد كبير من اشباه الممثلين والممثلات.

وامام هذا الهجوم اضطر صناع السينما الى السباحة فى بحر اخر لاستغلال امواجه الجديدة ومنها موجة المخدرات وركب الجميع الموجة لدرجة ان مشاهد الادمان تم حشرها فى جميع الافلام حتى تلك التى ليس لها علاقة بالمخدرات اضافوا الى احداثها واحد شمام واصبح شعار تلك المرحلة شمة لكل فيلم .. ولزوم اكتمال الصورة علشان تطلع حلوة ظهرت موجة افلام العنف مصاحبة لافلام المخدرات وصار جميع الممثلون حتى الكهول منهم يضربون فى الافلام واصبح كل واحد منهم هو شجيع السيما ابو شنب بريمة !! لدرجة اننى شاهدت فناناً كبيراً فى السن والمقام مثل " عزت العلايلى " يضرب فى احد الافلام وكأنه " تايسون " او " كلاى ".

وبعد نجاح مسلسل " رأفت الهجان " فى اواخر الثمانينات صارت الموجة الرائجة هى افلام المخابرات والجاسوسية مثل افلام " ٤٨ ساعة فى اسرائيل " ، " نص ساعة فى اسرائيل " ، " مش حتاخر رايح اسرائيل عشر دقايق وجاى " !! لدرجة ان الواحد كان خايف يرجع بيته يلاقى فيه كاميرات وميكروفونات تسجل بالصوت والصورة تفاصيل حياته ..

ومنذ سنوات وبعد نجاح فيلم " اسماعيلية رايح .. جاى " اصبحت الموجة فجأة هى افلام الكوميديا واصبحت بقدرة قادر كل الافلام كوميدية وحتى النجوم الذين تميزوا بالادوار التراجيدية الرصينة وعرف عنهم الاتزان والوقار تحولوا الى مهرجين فى افلامهم من اجل عيون شباك التذاكر . لدرجة ان نفس اسم الفيلم تكرر فى فيلم كوميدى اخر وهو " صعيدى رايح .. جاى " وكأن اسم الفيلم هو تميمة النجاح مما جعل بعض النقاد يتوقعون ظهور سلسلة افلام باسم رايح .. جاى مثل سلسلة افلام اسماعيل ياسين على ان تبدأ بفيلم " اسكندرية رايح .. جاى " ثم " دمهنور رايح .. جاى " ثم تجوب محافظات مصر ومن جانبى حاولت استثمار نجاح

" اسماعيلية رايح .. جاى " واقترحت عليهم فيلم بعنوان " المترو رايــح .. جــاى " تدور قصته حول مواطن يركب المترو من اول الخط لاخره ثم ينقل على الخط التانى وهكذا حتى اخر اليوم قصدى الفيلم !! واكدت لهم ان المفارقات سوف تحدث لهــذا المواطن فى المترو تصلح لعمل فيلم كوميدى من العيار التقيل ..

واخيراً ظهرت موجة الافلام الرومانسية فاصبح الكل بيحب والكل حبيب حتــى اللى قرب يموت ونحن الان فى انتظار الموجة القادمة من الافلام التــى اخــشى ان تفيق فيها السينما المصرية من غفوتها وتنخبط فى عقلها وتقــرر تقليــد الــسينما العالمية فى افلام الاطفال او افلام الكارتون وساعتها سوف نجد كل نجــوم الــشباك سواء الكبار او الشباب اتسخطوا وطالعين فى دور عيال ولابسين المريلة وبيروحوا الحضانة وهنا اجد نفسى مضطراً للاستئذان لكى البس الشورت واجهز المريلة حتى لا تفوتنى هذه الموجة الجديدة !!

****

اتلم المتعوس على خايب الرجا !!

اثناء مرحلة اعدادى لكتابى الاول " حدوتة افريقية " الذى يتناول تاريخ بطولة الامم الافريقية لكرة القدم واجهت مشكلة مزدوجة تتمثل فى نقص المعلومات المتاحة عندى عن هذه البطولة من جهة وصعوبة الحصول على هذه المعلومات من جهة اخرى !! وكان امامى واحد من اختيارين اما ان الجأ الى التحايل للحصول على هذه المعلومات لان احداً لن يصدق ان شاب فى مثل سنى يمكن ان يقدم على اعداد كتاب بهذا الحجم بهذه الجراة او ان اعلن هدفى صراحة واتوكل على الله لان اقصر مسافة يبين نقطتين هى الطريق المستقيم ومن يصدق فاهلاً به ومن لا يصدق فله مطلق الحرية فى عدم التعاون ..

وقررت لاعتبارات كثيرة اهمها الاعتبارات الاخلاقية ان اسير على درب الصراحة ولذلك كنت اذكر صراحة للمسئولين عن هذه المعلومات الحقيقية الكاملة باننى اعد كتاباً مفصلاً عن تاريخ البطولة الافريقية واترك لهم مطلق الحرية فى التعاون معى او الامتناع عن مساعدتى . فكان بعضهم يشجعنى على ذلك ويدعو لى بالتوفيق والبعض الاخر يحذرنى او يحاول اثنائى عن هذا العزم الا ان اطرف موقف مر بى اثناء تلك المرحلة هو اننى عندما ذهبت الى احدى المؤسسات الكروية وطلبت من المسئول عن مركز المعلومات بعض البيانات والاحصائيات . ظن فى البداية اننى صحفى واقوم بجمع المعلومات لاعداد موضوع صحفى او حتى ملف لاحد الجرائد او المجلات لدرجة انه تصور اننى محرر فى احدى مجلات الجامعات المختلفة !!! الا اننى كنت اطلب منه معلومات مفصلة وتواريخ واسماء دقيقة واصمم عليها !! فعاد يسألنى مرة اخرى : لماذا تطلب هذه المعلومات ؟؟ فاجبته مرة ثانية باننى اعد كتاب عن بطولة افريقيا .

فسألنى مرة اخرى مستوضحاً من الذى سوف يكتبه ؟ فحسمت له الامور وقلت لـــه اننى سوف اكتبه وحدى . وهنا سألنى متعجباً ومستنكراً فى ذات الوقت ومن سوف ينشره لـــــك ؟؟ (على اعتبار انه لا توجد دار نشر مـــشهورة يمكـــن ان تجـــازف وتنشر كتاباً لمؤلف مغمور) .

فأجبته باننى سوف انشره فى دار " المدينة برس للنشر" فقال لى وهو يستنكر بشدة المدينة ايه ؟؟ فى محاولة للتهكم على اسم دار النشر لانه لا يعرفه ثـــم تنهـــد وكاد ان يقول لي ايوه كده !! وفهمت انه يقصد ان يقول لى كده تبقى معقولة مؤلف مغمور + دار نشر غير مشهورة = كلام مقبول .

ولم استطع ان اكبت ضحكتى حينما سألنى مستنكراً عن اسم دار النشر مـــرة اخرى لاننى تصورت انه يريد ان يقول لى بالبلدى" اتلم المتعوس على خايب الرجا " ولذلك صممت بعد صدور الكتاب ان يكون هذا المسئول اول شخص يرى كتابى بعـــد صدوره حتى ارى انطباعات وجهه هذه المرة ففوجئت به يعاملنى باحترام مبالغ فيه ويثنى كثيراً على الكتاب والجهد المبذول فى كتابته وطباعته ..

ولم انس بالطبع ان اسرد هذه القصة لصديقى العزيز " وائل حسان " صـــاحب دار النشر الناشئة " المدينة برس " فضحك لها كثيراً الا انه لم يجب عـــن ســـؤالى وهو يا ترى مين فينا المتعوس ومين خايب الرجا ؟؟!! لاننى بصراحة لم استطع ان اجيب عن هذا السؤال بنفسى لاننى فى بعض الاحيان متعوس ولكننـــى فـــى معظـــم الاحيان خايب الرجا ؟؟

ولهذا اجد نفسى مضطراً لان اوجه لك هذا السؤال عزيزى القارئ مين فينـــا المتعوس ومين خايب الرجا ؟؟ !!!!!!

****

ثورة الاتصالات

حينما افكر دائماً فى ابرز سمات العصر الذى اصبحنا نعيش فيه اجد انها بلا ادنى شك هى ثورة الاتصالات التى جعلتنا نعيش عصر يمكن ان نسميه عصر الاتصال مما يجعلنى افتخر دائماً امام ابناء الجيل الحالى او ولاد اليومين دول باننى لى الشرف فى انى ابن عصرين كما افتخر اديبنا العظيم نجيب محفوظ فى كلمته ابان فوزه بجائزة نوبل للاداب عام ١٩٨٨ وقال انا ابن حضارتين تزواجتا فى عصر من عصور التاريخ وهو يقصد الحضارة الفرعونية والاسلامية .

لاننى بالفعل ابن عصرين عصر ما قبل ثورة الاتصالات وعصر ما بعد الاتصالات رغم انى فى الواقع انتسب زوراً الى عصر ما قبل الاتصال لاننى لم اشهده الا فى فترة اضمحلاله ولم اشهده اثناء ذروته او فى فترته الذهبية . ولانى طبعاً غاوى شهرة وباركب الموجة الرايجة دعونى اسرد لكم ابرز سمات هذا العصر الذى لم اشهد منه الا اقل القليل ... هذا العصر يا سادة يا كرام باختصار كان عصر اللى مفيهوش اتصالات طبعاً علشان اعرف افرقه عن عصر الاتصالات شوفتوا بقى انا ذكى ازاى وبافهمها وهى طايرة . ولكن الاهم انه كان عصر له ايقاع مختلف ويتباين تماما مع ايامكم الزفت ديه . فلا زلت اذكر بعض ملامح ذلك العصر حينما كانت التليفونات المنزليه نادرة ولا يقتنيها الا علية القوم بحيث انه كان يمكن ان تجد شارعا كاملا لا يوجد فيه سوى تليفون واحد ولانها كانت ايام جميلة فكان يمكن لابناء الشارع كله ان يستخدموا هذا التليفون سواء فى الارسال او الاستقبال ولا يمكن ان انسى لفترة طويلة قادمة منظر منزل خالى الكبير رحمه الله الذى كان يعمل

ضابطاً فى القوات المسلحة حينما كنا نذهب لزيارته ونجد عنده اشخاصاً غرباء وحينما كنت اسأل عنهم ببراءة طفولية مين دولة يا بت ؟؟ يجيئ الرد هذه طنط فلانة او عمو فلان وينتظرون مكالمة من احدى الدول العربية او الاجنبية سوف يقوم بها احد اقربائهم ولانه لا يوجد تليفون اخر فى المنطقة فقد تم اعطاء هذا الرقم لهم للاتصال عليه وطبعا ديه خدمة وربنا يخللى الناس لبعضيها .اما عن شكل المأسوف على شبابه التليفون فى تلك الايام فحدث ولا حرج بل اننى اطالب بعمل متحف يوضح تطور اجهزة الاتصالات وان يتم تنظيم زيارات اسبوعية لهذا المتحف من المدارس والمصانع والشركات حتى يدرك ابناء هذا الجيل مدى النعيم الذى يعيشون فيه ويحمدوا ربنا على اجهزة المحمول اللى فى ايديهم ويبطلوا دلع ورغبة فى تغييرها باجهزة اصغر وبها امكانيات اكثر.

ولذلك دعونى اصف لكم التليفون واللى عاوز يشوفه اكتر ممكن يركز فى التليفونات اللى بتظهر فى افلام ايام زمان واولاً علشان ما نزعلش من بعض وتقولوا ليا قرص ايه ؟؟ حاوضح من الاول ان التليفون ده لم يكن تليفون من ابو زراير وكانت بيشتغل بحاجة اسمها القرص والقرص ده يا اخوانى عبارة عن دايرة بتلف مع عقارب الساعة مثبتة على لوحة مكتوب عليها ارقام ولما الواحد يحب يطلب نمرة كان لازم الاول يتاكد ان القرص ده بيلف وسكته سالكة . وعلشان كده كان زمان لما يجى الواحد يطلب نمرة كانوا يقولوا له اضرب الرقم لان العملية بجد كانت تقترب من الضرب !!!! والتليفون نفسه مكانش بيشتغل الا لما يضرب و التليفون ده كان حاجة مفتخرة كان اسود وضخم جدا وتقيل واهم ما فيه زر الحرارة لان ده اللى كان بيتحكم فى مستقبل البشرية . لاننا اذا خرجنا من الشكل الى المضمون حنجد ان التليفون ده كان بيتميز بظاهرة غريبة بدأت تختفى اليومين دول

ولكنها كانت دائمة التكرار فى تلك الايام وهى انك حينما تريد استعمال هذا التليفون يجب أولاً ان تتأكد ان فيه حرارة لانك ببساطة شديدة ممكن ترفع سماعة التليفـون وتلاقى ان ما فيش حرارة بدون سبب واضح او مفهوم وممكن تستنى الحرارة ديـه ايام طويلة واذا حدث وربنا كرمك ولاقيت الحرارة وحمدت ربنـا وسـبت التليفـون وصليت ركعتين شكر توصل للمرحلة الاصعب وهى مرحلة ضرب الـرقم او يعنـى طلب الرقم ولكنها كانت فعلاً عملية ضرب متكاملة الاركان لانك كنت تقعد تلف فـى القرص تلف فى القرص تلف فى القرص ولازم تكون فى قمة تركيزك علشان الارقام مكتوبة تحت القرص واى غلطة يبقى حتودى نفسك فى داهية يا غلبـان لانـك لازم تعيد من الاول !! وبعدين ممكن ان تصطدم بحقيقة جديدة وهى ان الرقم ما جمعـش ولا ادرى ما علاقة موضوع الجمع والطرح بموضوع الاتصالات التليفونية المهم انك تفضل تحاول وتحاول وتبقى ليلتك سودا لو كان الخط مشغول لان طبعاً مـا فـيش حاجة اسمها انتظار . لان طبعاً انتظار ايه انت بتستعبط ده كـويس اصـلاً ان فيـه تليفون !! وطبعاً كان ايامها مفيش حاجة اسمه تليفون فى كـل اودة لان هـى اودة واحدة يا سيد يعنى هو تليفون واحد يبقى موجود فى اودة المسافرين اللى انا مـش عارف هما مسافرين رايحين فين ؟؟ وطبعاً واضح ومن غير ما اقول ما كانش فيه حاجة اسمها تليفون لاسلكى طيب يعنى فهمونى يبقى ازاى لاسلكى يعنى الكلام يتنقل ازاى ما هو السلك ده اللى بينقل الصوت يا متعلمين يا بتوع المدارس وبلاش كـلام فارغ. واذا حبينا نخرج من موضوع شكل ومضمون التليفون فديـه كلهـا حاجـات بسيطة لان كل ده يهون لاننا مع كل ده بنتكلم والتليفون موجود وتحت ايدينا ومهما عمل فينا اهوه على الاقل موجود ويانا ومونسنا وحسه مالى البيت علينا لان طبعـاً المرحلة الاصعب والاهم من كل التفاهات ديه كانت استقدام التليفون نفسـه واللى

كانت اصعب من استقدام الخبرا الاجانب . يعنى اولاً طبعاً علشان ما حدش يختلف معايا من الاول مكانش فيه حاجة اسمها انا محتاج تليفون وعايز تليفون ورايح اشترى تليفون لان التليفون ده كان شئ عظيم وما يصحش انك تروح تجيبه وتاخده من ايده وتيجى على البيت على طول ولكن كان لازم الاول تاخد ميعاد من مدير اعماله واقصى املك ان مدير اعماله يديك ميعاد بعد ٧ او ٨ سنين وطبعاً ده عمل حاجة اشتهرت فى الفترة ديه اسمها قوائم الانتظار . وقوائم الانتظار ديه كانت ممكن تزيد لاكثر من ٢٠ سنة وظهرت بقى حكاية اللجان بحيث انك تعرف مثلاً انهم فى لجنة ٤٠ وانت اسمك فى لجنة ٥٧ ولازم تستنى لجنتك يا جميل حتى بقى لو كنت حتموت على التليفون .

حاحكيلكوا حكاية والنبى لا انا حاكيها .. والدى يرحمه الله لانه كان سابق زمانه ادرك اهمية التليفون مبكراً وقدم طلباً لادخال تليفون سنة ١٩٦٩ قبل زواجه بعدة سنوات ثم تزوج وسافر خارج مصر وتوفى والتليفون لسه فى قوائم الانتظار ومرت السنوات الطوال والتليفون لا يزال فى الانتظار وكلما سألنا عنه قيل لنا لسه انتوا مستعجلين على ايه ؟؟ حتى جاء التليفون والحمد لله ونزل فى بيتنا فى امان الله عام ١٩٩٤ اى بعد ٢٥ سنة من تقديم الطلب اى ربع قرن وبعد وفاة صاحب الطلب باكثر من ١٥ عاماً. الاطرف من ذلك اننى وبعد ظهور شبكة الانترنت احسست بضرورة وجود تليفون اخر فى البيت بحيث يتم تخصيص تليفون للانترنت واخر للاتصالات الهاتفية .. رفاهية بقى واستعباط ودلع !! فتقدمت بطلب جديد لتليفون اخر وفوجئت بعد اسبوعين بتركيب التليفون فى المنزل ورغم سعادتى الشديدة وقتها بهذه السرعة حزنت جداً بعد ذلك لانى عرفت انه فى مناطق اخرى يتم تركيب التليفون بعد يوم او يومين او فى نفس اليوم مهو البنى ادم اصله طماع !!

ثورة الاتصالات ٢

فى الموضوع السابق تحدثنا عن التليفون ومدى التطور الذى طرأ عليه ولان التليفون تطور فقط ولم ينقرض فقد كان احسن حظاً من ابن عمه الجواب والذى بدأ يتجه للانقراض ليحل محله البريد الالكترونى او الرسالة التليفونية .

فقديماً وقبل انتشار التليفون وظهور الانترنت كان فيه حاجة يا اولادى اسمها الجواب واسمحوا لى انى اقول لكم اولادى لانى بقيت من العهد البائد لانى حضرت الحاجات الغريبة ديه اللى منها الجواب . والجواب ده يا اولادى وفقاً لتعريف ذلك الزمان السحيق كان عبارة عن وثيقة مكتوبة تشمل بعض المعلومات تبدأ بالبسملة والتحيات التقليدية وتنتهى بتوقيع الراسل ثم تطوى وتوضع فى حافظة ورقية تسمى مظروف (طبعاً مش مظروف بلغة اليومين دول يعنى قابض فلوس لا طبعاً ولكن مظروف ورقى) ويتم غلقها ويكتب عليها عنوان المرسل اليه ثم يلصق عليها شئ صغير يسمى طابع بريد يشمل الجهة المرسل اليها هذا الجواب وبعد لصق هذا الطابع يلزم توجيه هذا الجواب الى اقرب صندوق بريد بعد تحديد وسيلة نقل الجواب فهناك النقل البرى والبحرى والجوى وده حسب نوع الطابع اللى بيختلف سعره حسب وسيلة النقل . وبعد ايداع الجواب فى الصندوق يتم الانتظار ثم الانتظار ثم الانتظار حتى يتم جمع الجوابات فى منطقة التوزيع ثم يتم فرز هذه الجوابات واعدادها للسفر الى الدولة المقصودة مع اقرب وسيلة للسفر وفى الدولة المقصودة تحدث عملية معاكسة تماماً للاجراءات الاولى فيتم فرز الجوابات بعد الوصول ثم ارسالها الى مناطق التوزيع ومنها الى منزل المرسل اليه . وكانت هذه الرحلة العظيمة تستغرق وقتاً طويلاً يتجاوز الايام الى الاسابيع ومعها يستحيل ان يستفيد

المرسل اليه من اى معلومات تصل اليه لانه فى لحظة قراءتها تكون الدنيا قد تغيرت والمريض شفى والطالب نجح والشاب تزوج والعجوز مات وهكذا !!!

لكن يبقى لهذا الجواب الذى انقرض ميزة لم تحققها اى مـن الوسـائل التـى جاءت بعده او بنيت على انقاضه وهى ان هذا الجواب المسكين كان يحمل بين طياته وفى داخل مظروفه كل مشاعر اللهفة والشوق لهولاء الذين كـانوا يعيـشون فـى الغربة ايام ما كانت الغربة غربة بجد مش اى كلام ولعب عيال زى غربة اليـومين دول !!

كما تميز هذا الجواب المأسوف على شبابه بانه كان وربما لا يزال رغم كـل التطورات الحديثة الوسيلة المثلى لنقل المشاعر العاطفية وآهات المحبين ولـوعتهم لان هذا الجواب تميز بارتفاع عنصر الخيال عند قراءته لغياب الـصوت والـصورة والحركة والايماءة لحظة قراءته مما يفتح الباب امام عنصر الخيال الذى يعـد اهـم عنصر فى العملية العاطفية ولذلك فانى ارى ان كل شاب فى جيلنا فشل فـى حبـه معذور لانه لم يعد هناك جوابات متأججة بالعواطف مثل ايام زمان وبالتـالى فـنحن جيل غلبان ما لحقناش ايام الجوابات والروقان بتاع زمان وبالتالى فعلى كـل شـاب يريد وصال حبيبته ان يبعت لها جواب ويتوكل على الله واغلـب ظنـى ان حبيبتـه سوف تتهمه بالجنان وطبعاً توديه على المورستان !!!

****

ثورة الاتصالات ٣

بعد الحديث عن التليفون والجواب تبقى لنا الحديث عـن الراديـو والتليفزيـون او وسائل الاتصال الجماهيرى كما يطلق عليها اساتذة الاعلام والتى طرأ عليهـا هـى الاخرى تغييرات كبيرة فالراديو فقد كثيرا من بريقه ولم يعد له نفس الجاذبية التـى كانت موجودة ايام زمان رغم الطفرة التى حدثت فى الفترة الاخيرة منذ ظهور محطة نجوم الاف ام الا ان البريق القديم لم يعد موجوداً فمن من الجيل القـديم يمكـن ان ينسى برامج من نوعية " وقال الفيلسوف "او" احسن القصص "او"غواص فى بحـر النغم "او"الف ليلة وليلة الاذاعية " ومن ينسى اغانى وبرامج الصباح فى الاذاعة "يا صباح الخير يللى معانا "و" كلمتين وبس" و"ماما فضيلة" و"اغرب القـضايا" وفرقـة ساعة لقلبك ومرزوق وسلطانيته الشهيرة والمسلسلات الرائعة التى تحولت بعد ذلك الى افلام سينمائية ومسلسلات تليفزيونية لكنها لم تحقق نفس النجاح الاذاعى مثـل "سمارة "، " القط الاسود" ، " الدنيا على جناح يمامـة "،" البـرارى والحـامول "، وغيرها وغيرها. ولكن الراديو ايضاً كان له ميزة قيمة وهى اضافة عنصر الخيـال لدى مستمعيه فمثلاً يمكن ان تسمع الف ليلة وليلة فى الراديو و يمكن ان تـشاهدها فى التلفزيون الا ان الف ليلة و ليلة الاذاعية تتميز بان الخيال يلعب دوراً كبيراً فـى الموضوع فانت تسمع عن عوالم سحرية لاتراها و لك ان تغمض عينيك وتفكر فـى تلك العوالم وتتخيل صورتها كما يحلو لك وتتخيل انك شهريار وانك تتزوج كل يـوم امرأة جميلة بس مصيبة لو بقيت انت مسرور المسئول عن قطـع رقـاب هـولاء الجميلات !! ولكن الصورة التليفزيونية تقتل الخيال وتقصر الموضوع على مجـرد متابعة صورة مفروضة وساعتها لا تعرف تبقى شهريار و لا حتى شـهرزاد لانهـم قدامك وشايفهم بيتحركوا زى القرود .



ولذلك نجد ان معظم جيل الخمسينات والستينات يفضلون الراديو علـــى التليفزيـــون لانهم يرون ان الراديو يساعد على الاستمتاع بالخيال ويساعد على تحقيق الانسجام النفسى والروحى .

علاوة على ان الراديو يعد وسيلة انتاجية وهو ما تؤكده معظم دراسات الاعلام لان الراديو لا يمكن ان يعطل عن الانتاج لانه يمكن لاى انـــسان ممارســـة عملـــه والاستماع الى الراديو كخلفية عكس التليفزيون الذى يتطلب استخدام حاستى السمع والبصر معاً مما يمنع ممارسة اية انشطة ايجابية معه ويكون الامر قاصـــراً علـــى الانشطة الاستهلاكية مثل تناول الطعام او تناول المـــشروبات الغازيـــة او الثرثـــرة بصوت واطى علشان التليفزيون ما يسمعش ويزعل اننا سيبينه يكلم نفسه .

كما انه رغم التطورات التكنولوجية الاخيرة الا ان الراديـــو لا يـــزال الوســـيلة المثلى فى الرحلات والاماكن النائية وكذلك يمكن متابعته اثناء قيـــادة الـــسيارة دون ادنى تأثير على دقة القيادة بعكس التليفزيون الذى لا يمكن متابعته اثناء قيـــادة اى نوع من المركبات والا تبقى كارثة مرورية .

وكذلك الراديو سابقاً كان يتمتع بخاصية غير موجودة الان البعض يرى انهـــا عيب والبعض يراها ميزة . فقبل انتشار الكاسيت كان الراديو هو الوسيلة الوحيـــدة السهلة للاستماع الى الاغانى لان الاسطوانات لم تكن منتشرة بشكل كبير والراديـــو كان يحتفظ للاغانى ببريقها ويجعلها عزيزة ليس فقط مع الاغانى الجديدة ولكن مـــع الاغانى القديمة ايضاً حيث كان الراديو لا يذيع الاغنية عمال على بطال زى دلوقتى وكان يمكن ان تنتظر فترة حتى تسمع اغنيتك المفضلة وليس كما يحدث الان انـــك تستطيع ان تستمع الى اغنيتك المفضلة فى اى وقت وفى اى مكان ولاى عدد مـــن المرات. اما شكل الراديو نفسه فكان حكـــاية اخرى ففى بداية ظهور الراديـــو كـــان

الراديو عبارة عن قطعه موبيليا لان دوائر الترانزيستور لم تكن قد اخترعـت بعـد وكان الراديو كبير الحجم بدرجه تجعل تحريكه صعباً لذلك كان يتم تثبيته في مكـان ولا يتحرك كثيراً وعادة كان يتم وضعه فى الصالة الرئيسية لانه وقتها لم تكن هناك رفاهية ادخال جهاز راديو لكل غرفة .

ولا زلت اذكر حتى الان منظر هذا الراديو الضخم فى منزل جدتى وكيف كنـت اخاف منه وانا صغير لانى كنت اتصور ان الاشخاص الذين يتكلمون موجودون فعلاً داخل هذا الراديو الكبير وكنت اخاف اكثر حينما تكون هنـاك تمثيليـة مرعبـة او اشخاص ذوى اصوات حادة . واحتفظت لنفسى بالخوف ده علشان محدش يتهمنـى بانى عيل وجبان واهبل وحاجات كده ...

وفضلت مخبى الموضوع ده لحد ما فى مرة طائشة بعد ما كبرت كنت قاعد فى قعدة صفا مع شقيقى الاكبر وسام حينها اعترف لى بسر خطير وهو ان احـد اكبـر احلامه وهو صغير كان ان تتاح له الفرصة ليكون فى بيت جدتنا بمفرده لكى يفـتح هذا الراديو و يستخرج ذاك المذيع المزعج من داخله ويظفر به كأسير ويجعله عبد عنده . ساعتها اطمنت ان مخاوفى كانت منطقية وانى مش انا لوحدى اللـى عيـل اهبل .. بس بينى وبينكم برضه حمدت ربنا بينى وبين نفسى انهم ما سابوش لوسام شقيقى الاكبر اى فرصة انه يقعد فى بيت جدتى لوحده وينفذ خطته الشريرة ويأسـر المذيع ويغيظنى بيه ويقعد يقهرنى طول الوقت انه عنده مذيع وانا ما عنديش ..

****

ثورة الاتصالات ٤

لا يمكن ان نتكلم عن ثورة الاتصالات دون ان يتطرق الحديث الى التليفزيـون اقوى اجهزة الاتصال وأخطر وسائل الاعلام الجماهيرى .لان التليفزيون واحد مـن اكثر الشواهد التى تدل على الفارق بين الاتصالات فى عصرين لان التليفزيون شهد تطوراً مخيفاً خلال ال٥٠ عام الاخيرة فقد بدأ التليفزيون المصرى فى بداية الستينات بقناة واحدة ومفيش داعى اقول انها كان اسمها القناة الاولى لان برضه القارئ لازم يكون عنده شوية مفهومية ويحاول يفهم لوحده ..

وبعدين قالوا نعمل قناة تانية لتقديم مواد اعلامية ذات طبيعة ثقافيـة عـلاوة على بعض المواد الاجنبية وبعدها بكتير اوى اوى افتتحوا القناة التالتة فى منتصف التمانينات كباكورة للقنوات المحلية وكان نطاق تغطيتها محافظة القاهرة الكبـرى . وعلى التوالى بعد ذلك تم افتتاح باقى القنوات المحلية الرابعة لمدن القناة والخامسة للاسكندرية والسادسة لوسط الدلتا والسابعة لشمال الصعيد والثامنة لجنوب الـصعيد وبالنسبة للاعلام المتخصص فقد بدأ فى نهاية القرن الماضى بافتتاح مجموعة مـن القنوات ذات الطبيعة المتخصصة سواء من حيث المضمون مثل الاخبار او الرياضة او المنوعات او من حيث فئات الجمهور كالاسرة والطفل .

ده بالنسبة للاعلام الارضى اما الاعلام الفضائى فقد شهد انطلاقـة ضـخمة بظهور العديد من الفضائيات الرسمية علاوة على الفضائيات الخاصة واصبح امـام المشاهد تنوع كبير من المحطات يمكن ان يختـار بينهـا حـسب مزاجـه ووقتـه وتفضيلاته . كل ده طبعاً فى التسعينات قبل ماسورة القنوات الفضائية اللى اتفتحـت فى القرن الواحد والعشرين بحيث انك بتصحى كل يوم تقلب فى الدش تلاقى قنـوات

فضائية جديدة واصبح شعار المرحلة ليه تتفرج على قناة واحدة لما ممكـن تتفـرج على اتنين واصبحنا بحاجة لمنظم مواعيد او حتى مـدير اعمـال لتنظـيم مواعيـد مشاهدتنا لبرامجنا المحببة او متابعة مسلسلاتنا المفضلة .

كل هذا يدفعنى لان اتذكر بعض ملامح الفترات الاولى للتليفزيون تحت بند اننا يجب نعرف قيمة النعمة اللى فى ايدينا ونبطل بطر ونمردة ونقعد نقول البرنـامج ده حلو والبرنامج ده وحش والمذيع ده رخم والمذيعة ديه وحشة وما بـاحبش ومـش عاوز اتفرج والكلام الفارغ ده .

ايها السادة الكرام كان ياما كان ايام زمان مفيش فى التليفزيـون غيـر قنـاة واحدة بس والقناة ديه كانت معظم برامجها على الهواء لان تقنية تسجيل البـرامج كانت لا تزال بها بعض الصعوبة وكانت القناة الواحدة ديه. اكيد بتفـرض ذوق ادارة التليفزيون على الشعب كله لانك ببساطة معندكش اى امكانية للتغيير واذا لا سـمح الله ما عجبكش اى برنامج او تجرأت وقلت المذيع ده دمه تقيل او المذيعة ديه تافهة اضرب دماغك فى الحيط لان المذيع ده حيفضل موجود غصب عنك وعن اى حد لحد ما يخلص البرنامج ولو مش عاجبك اقفل التليفزيون وانت ساكت. وحتى لما فتحـوا القناة التانية كانت قناة تحمل الصبغة الغربية يعنى برضه مكانتش بديل للقناة الاولى ولكن كانت نمط تانى من الاعلام له رواده ولكنها لم تشكل اى نوع من البدائل للقناة الاولى التى ظلت تشكل ذوق الرأى العام لفترات طويلة باعتبار التليفزيون اخطر اداة اعلامية فى الوقت ده وله دور رهيب فى تشكيل الرأى العام. ده بالنـسبة للرسـالة الاعلامية اما بالنسبة للشكل فنظرة واحدة على برنامج من بـرامج زمـان سـوف توضح كل شئ علشان مفيش واحد مشاهد طيب وابن حـلال يقـول علـى بـرامج دلوقتى مش عجبنى الديكور او حركات الكاميرا او حاجات من اللى بيطلعوا لنا فيها مشاهدين اليومين دول .

وكان التليفزيون ايامها يعمل بمواعيد مثل الوظائف الحكومية يعنى مكانش فيه حاجة اسمها ان التليفزيون يفضل مفتوح ٢٤ ساعة طب يعنى ازاى يفتح ٢٤ ساعة امال الموظفين دول يرتاحوا امتى وياكلوا امتى وينامو امتى ولا هما الناس ديه مش بنى ادمين ومحتاجين ياكلوا لقمة وينامو لهم شوية يعنى باختصار التليفزيون ايامها كان بيفتح فى وقت معين ففى الصباح وبعد ما المذيعين والموظفين يفطروا ويشربوا الشاى ويقروا الجرايد ويحلوا الكلمات المتقاطعة كان يروح اعجز واحد فيهم (مش اعجزهم يعنى اللى ما بيشوفش ما تفهمونيش غلط انا قصدى اكبرهم سناً) يقوم يفتح التليفزيون على الساعة ١٠ كده ويدور شرايط البرامج ويبدأ اليوم التليفزيونى وبالليل طبعاً كان فيه ميعاد للقفل مهو اكيد طالما التليفزيون اتفتح لازم يتقفل امال يعنى التليفزيون يفضل مفتوح طول اليوم ايه الهبل ده والشخص المسئول بالليل كان بيعمل عملية عكسية لما يحدث فى الصباح يعنى كان بيتعشى ويشرب اللبن ويغسل سنانه وبعدين يقوم يقفل المعدات ويوقف شريط البرامج ويقفل التليفزيون بالسلام الوطنى ويروح ينام علشان يصحى بدرى تانى يوم ويلحق يفتح التليفزيون بدل ما تروح عليه نومة ويفضل التليفزيون مقفول تبقى مصيبة.

ولان التليفزيون ايامها كان واضح انه مهتم اوى بمواعيد الوجبات الغذائية وكان حريص على صحة الموظفين اللى فيه وحريص على الحفاظ على مواعيد نومهم و وجباتهم الغذائية كان بيعمل حاجة فى منتهى الغرابة مش قادرا فهمها لحد دلوقتى. فقد كان هناك حاجة اسمها فترة راحة فى الظهيرة فترة الراحة ديه كانت تقريباً من الساعة ١٢ ظهراً للساعة ٢ ظهرًا برضه وكان التليفزيون بيوقف الارسال فيها بجد مش هزار على ان يعاود الارسال الساعة ٢ وفى الفترة ديه كنت تفتح التليفزيون تلاقيه بيوش وارمى نفسك فى البحر لو كنت ساعتها زهقان ومحتاج

تتفرج على حاجة تسليك. واحترت كثيراً وان طفل صغير (مهو اكيد انا فى يوم من الايام كنت طفل صغير امال اتولدت شحط كده) فى تفسير السر الكبير وراء اغلاق التليفزيون فى فترة الظهيرة ولم يسعفنى ادراكى وقتها لتخيل السبب وتخيلت لسذاجتى ان ادارة التليفزيون تستهدفنى شخصياً وانها متواطئة مع والدتى رحمها الله لحرمانى من متعة مشاهدة افلام الكارتون بعد رجوعى من المدرسة مباشرة حتى اتناول وجبة الغذاء بسرعة وبدون دلع و التحجج بمشاهدة حاجة مهمة فى التليفزيون وتخيلت أن التليفزيون مستقصدنى وعاوز يضايقنى الى ان كبرت شوية وعرفت انى كنت ساذج جداً .

لان مش ممكن ادارة التليفزيون حتفكر فى مفعوص زى يعنى هى فاضية لايه ولا لايه بس الحكاية كلها ان ادارة التليفزيون فى اطار حرصها على المواطنين وفلوسهم كانت بتحافظ على اجهزة التليفزيون المنزلية فكانت بتوقف الارسال ساعتين علشان الاجهزة ترتاح لان التليفزيونات كانت زمان بتشتغل بلمبات داخلية وما ينفعش طبعاً اللمبات ديه تفضل شغالة طول اليوم والا تسخن وتتحرق وده سبب وقف الارسال علشان اللمبات تبرد شوية وتيجى على الساعة٢ تشتغل كويس شوفتوا بقى لما الواحد بيكبر ويفهم بيبقى حلو ازاى مش الهبل اللى كنت باقوله وانا صغير قال التليفزيون بيستهدفنى قال كلام فارغ لكن موضوع اللمبات حاجة محترمة ومقنعة.

لكن اهم شئ فى تليفزيون زمان كان حاجة اسمها الربط وواحد قارئ ذكى شويتين يقول اطب وايه علاقة الربط بالتليفزيون هو مش الربط ده موجود فى الارياف بس واحتراماً لذكاء هذا القارئ اللطيف ارد عليه بمنتهى الاحترام بان الربط التليفزيونى غير الربط اللى فى باله واللى احياناً بيحصل للعريس ليلة الدخلة فى

بعض الاماكن الشعبية او فى الارياف والصعيد لان الربط التليفزيونى ايهـا القـارئ المحترم المقصود به هو الانتقال من فقرة الى فقرة مش الحاجات السخيفة اللى فى دماغك ولان التليفزيون ايامها كان كل همه هو تعيين الموظفين لفتح فرص العمـل امام الجميع وتشغيل ولاد الناس (قبل الخصخصة وايامها الصعبة) فقد خصص لهذا الربط موظفة محترمة تحصل على راتب محترم على ان يكون اسمها طبعـاً مذيعـة الربط والست هانم مذيعة الربط ديه كان يجب ان تكون ابرز مقوماتهـا ان تتميـز بابتسامة بلهاء تستطيع ان تنهى بها فقرة الربط متمنية للمشاهدين وقتاً سعيداً مـع الفيلم او المسلسل او البرنامج وكان هذا هو كل دور الاستاذة فى الحياة تـصور و السذاجة ولكن قمة الدهشة سوف تظهر عندما نعرف ان مذيعة الربط كانت تـضطر للانتظار حتى الانتهاء من جميع فقرات اليوم لتتمنى للمشاهدين نوماً هانئاً واحلامـاً سعيدة شوفتوا بقى ازاى المذيعة ديه كانت بتتعب وتضطر تنزل فى انصاص الليالى من التليفزيون والبيه جوزها يقعد يستناها عند باب التليفزيون علشان يوصلها لانها مش معقولة حتروح لوحدها فى الوقت المتأخر ده والا بصراحة يبقى جوز مش ولا بد وكل ده علشان المشاهدين يناموا نوم هانئ ويحلموا احلام سعيدة انشالله ما عنهم ناموا ولا اتنيلوا حلموا احلام سعيدة وبلاش بهدلة لبنات الناس لكن واضح ان قاعدة التليفزيون ايامها المشاهد دايماً على حق عرفتوا بقى التليفزيون ايامها كان عامـل ازاى وعلشان كده لازم نبوس ايدينا وش وضهر طوال ما احنا بنقلب فى الريمـوت كونترول علشان ندور على مباراة كرة قدم على قناة رياضية او فيلم عربـى علـى قناة افلام او مسلسل على قناة دراما لان زمان كانت هى قناة واحدة يعنى لـو فيـه ماتش الناس كلها اللى بتحب الكورة او اللى ما بتحبهاش تفضل قاعدة تتفرج غصب عنها ولو فيه مسلسل يبقى كل الناس تتفرج عليه حتى لوكانوا ما بيطيقوش الممثل

ده اوالممثلة ديه مش الدلع دلوقتى تلاقى واحد يقولك اصلى عـــاوز اتفـــرج علـــى الماتش الفلانى فى الدورى العلانى فى البلد الترتانى مش يتفرج بـــالقهر علـــى اى ماتش ييجى والسلام صحيح البنى ادم ده ما بيملاش عينه غير التراب .

****

ابطالنا الاوليمبيين

تكرر نفس السؤال سواء من المعارف او الاصدقاء او بينى او بين نفسى وهو لماذا تركزت كل ميدالياتنا الاوليمبية سواء الحديثة او القديمة فى الالعاب النزالية او العاب القوة ولم يختلف احد عن هذه القاعدة الا نجم الغطس فريد سميكة الذى احرز ميداليتين احدهما فضية والاخرى برونزية فى الغطس من السلم الثابت والمتحرك فى اوليمبياد امستردام عام ٢٨ وغير ذلك كانت كل ميداليتنا الاوليمبية ال ٢١ المتبقية فى العاب نزالية او العاب لها علاقة بالقوة الجسمانية وهى رفع الاثقال والمصارعة والملاكمة والجودو ... ولذلك يظل السؤال حائراً لماذا يتفوق المصريون فى العاب القوة ويبتعدون تماماً عن الالعاب المهارية مثل التنس او العاب السرعة مثل السباحة والعدو او الالعاب الجماعية مثل كرة القدم وكرة السلة .

اجتهدت ان اصل لاجابة لهذا السؤال الذى حيرنى وحير الكثيرين معى ولكنى اكتشفت ان اجابة السؤال ربما كانت اسهل فى الماضى قبل المفاجأة السعيدة بالخمس ميداليات الاخيرة فى اوليمبياد اثينا التى عقدت الموضوع وجعلت من الاجابة عليه فى منتهى الصعوبة ..

ان الاجابة على هذا السؤال فى القرن الماضى كانت سهلة ومنطقية على اعتبار ان ميدالياتنا الاولى كانت نتيجة قوة فطرية وراثية قبل تطور علوم التغذية وتقنيات التدريب وهو ما اكده لى الدكتور محمود شكرى رئيس اتحاد رفع الاثقال فى احدى مقابلاتى التليفزيونية معه حينما اكد ان انجازات المصريين الاولى فى الرياضة كانت بسبب قوة جسدية هائلة من عند الله اضافة الى ما يتميز به المصريين من شهامة وجدعنة ولاد البلد ولا ادرى ما علاقة الجدعنة والشهامة بالانجازات الرياضية !!!

الا اننى فوجئت اننى سمعت نفس الكلام تقريباً عندما التقيت فى لقاء تليفزيونى بالبطل محمد الباز صاحب اول برونزية فى الملاكمة فى دورة اثينا وهو النجم الذى اسقط بقبضته الفولاذية صيام ٢٠ عاماً باكملها عن الميداليات الاوليمبية عقب عودته من اثينا مباشرة . فكلما سألته عن مبارياته سواء فى دورة اثينا او قبلها وجدته يكرر دائماً عبارة اديته علقة او اكلته علقة وغيرها من المصطلحات البعيدة تماماً عن الروح الرياضية ولكنها اقرب الى خناقات الشوارع ..

وحينها أدركت السر وراء تفوق المصريين فى هذه النوعية من الالعاب وهى ان المصريين يبرزون فى العاب القوة لان اللاعب المصرى سواء قديماً او حديثاً يمارس تلك النوعية من الالعاب كنوع من التنفيس عن الكبت والاحباط الذى يعانى منه فى مختلف مجالات حياته وهو حين يضرب لاعباً امامه او يرفع ثقلاً فانه يشعر بانه يضرب كل ما يكرهه فى حياته من ارتفاع اسعار وبطالة وزحام وضوضاء وتلوث وحينما يرفع الثقل يشعر بانه يرفع كل هذه الاشياء عن كاهله ولهذا حمدت الله كثيراً ان نجمنا الباز عاد مصاباً من اثينا فى كتفه تلك الاصابة التى منعته من استكمال مشوار البطولة وتطوير ميداليته من برونزية الى فضية او ذهبية لان هذه الاصابة ايضاً منعته من ان يخرج ما يعانيه من كبت واحباط تجاه التجاهل الاعلامى له ولزملائه قبل الدورة فى شخصى الضعيف باعتبارى واحد من الاعلاميين الذين عانى كثيراً من مرارة تجاهلهم له !!

****

موقعة ابى قير البحرية

ارجو للقارئ العزيز ان يتقبل عذرى فى تناول تلك الموقعة التاريخية الضخمة بشئ بسيط من المعلومات قبل ان اوضح له السبب فى ذلك فموقعة ابى قير البحرية كانت واحدة من المعارك التاريخية الهامة والتى اثرت نتيجتها ليس فقط على الطرفين المتحاربين بل على مجرى التاريخ الانسانى كله وتلك النوعية من المعارك تمتد اثارها فترة طويلة ولا يحتمل تغيير نتيجتها بدون تأثير واضح على مجرى التاريخ وهى نوعية من المعارك حفرت اسمها فى التاريخ باحرف من نار مثلها مثل موقعة حطين وعين جالوت وواترلو والعلمين وستالينجراد وبيرل هاربور وغيرها .

واذا عدنا الى موقعة ابى قير نكتشف انها كانت مناورة ذكية من الاسطول الانجليزى بقيادة نيلسون امير البحر الانجليزى الذى استغل نزول الاسطول الفرنسى فى الاسكندرية ثم انتشارهم فى ربوع مصر وحطم معظم سفن الاسطول الفرنسى فى ابى قير وقطع على الفرنسيين اى امل فى العودة مما كان له ابرز الاثر فى تحطيم معنويات الجنود الفرنسيين وكان فى النهاية احد اسباب فشل الحملة الفرنسية على مصر تلك الحملة التى كان يمكن ان تعيد صياغة تاريخ المنطقة والعالم كله .

ما علينا نسيبنا بقى من حصة التاريخ المملة ديه وادخل فى الموضوع على طول واقول ان ليه صدعت دماغكم بكل الكلام ده لان بعد اكثر من قرنين من الزمان ببضع سنين واجهت موقف سخيف اطلقت عليه تجاوزاً موقعة ابى قير البحرية فى محاولة منى لاضفاء روح كوميدية عليه تمنعنى من الانفعال كلما تذكرته .

الموقف يا سادة يا كرام اننى كنت اقضى اجازتى الصيفية على شاطئ مرسى مطروح ولان طبيعة العمل الاعلامى تجعل اجازاتى السنوية نادرة وسفرياتى الترفيهية معدومة فاننى حاولت ان استغل ايام الاجازة المحدودة فى الاستمتاع

باكبر قدر ممكن وبالتالى فانى كنت اختصم من ساعات النوم فـــى مقابــل ســاعات الاستمتاع والترفيه .

ولانك فى مطروح لا يمكن ان تشعر بالسعادة دون ان تستمع بمياهها الصافية الهادئة التى تتفوق على اى منطقة اخرى وتعتبر مقصداً لهواة السباحة والبلبطة فقد قررت ان استمتع بالمياه قدر الامكان فكنت انزل البحر كل يوم اكبر فترة ممكنة وبما اننى من ذوى البشرة الحساسة فاننى كنت احرص دائماً على الابتعاد بقدر الأمكــان عن فترة الظهيرة واتعمد نزول الماء بعد العصر وحتى الغروب وسارت الامور على هذا المنوال حتى جاء اليوم الموعود وهو ليلة السفر ذلك اليوم الـــذى تحلـــو فيـــه ممارسة كل الاشياء وكأنه اخر يوم فى الدنيا . ونزلت الماء كالعادة بعـــد العـــصر ومعى ثلاثة اشقاء من اقربائى ومعهم والدهم الذى يجيد السباحة ويتواجـــد معهـــم لتأمينهم من اى مشاكل يمكن ان تحدث فى اى لحظة فى الماء .

وكان جواً بديعاً بين الاستمتاع بالمياه الهادئة والغطس وممارسة كـــل انـــواع الترفيه وكان الاب حتى هذه اللحظة شخصاً لطيفاً يشاركنا جميع انواع المزاح بروح شابة محببة ثم استأذن فى الخروج لتبديل الملابس والاستعداد للغـــذاء الـــذى كنـــا نؤخره لما بعد الخروج من البحر .

وكما يحدث فى اندية كرة القدم سلمنى شارة الكابتن وطلـــب منـــى مراعـــاة الجميع ومراعاة الابتعاد عن اى مظاهر خطورة وطالبنى بـــالخروج الـــسريع قبـــل المغيب الكامل للشمس لتفادى الظلام واكدت له على الالتزام بكافة التعليمـــات لانـــى اريد ان تمر الرحلة على خير ولاننا ساعات قليلة ونكون فى القاهرة .

وبعد خروجه كان الالتزام معقولاً واتفقت معهم على ضرورة تنفيـــذ تعليمـــات الاب بعدم الابتعاد عن بعض وضرورة ان يراعى كل فرد ان يتأكد من ان الاخريـــن

فى مجال رؤيته حتى يمكن التدخل السريع لانقاذ أى مشكلة . ولاننى بطبيعتى متمرد وابعد ما اكون عن الالتزام بالتعليمات فى شئ ولان شيطان المغامرة حينما يتمكن منى لا ارى اى شئ امامى فقد نسيت موضوع الظلام الذى يوشك ان يحل ونسيت كلام الاب واندمجت مع المياه ولكى اخزى عين الشيطان لم انسى ان اطلب منهم بشكل متراخى ان يخرجوا قبلى على ان استمر للاستمتاع بالمياه اكبر فترة ممكنة وطبعاً اذا كان رب البيت بالدف ضارباً فشيمة اهل البيت كلهم الرقص .

فقد وجد الجميع الفرصة مناسبة لمخالفة تعليمات الاب المسكين وبدأ الجميع يتحرك بحرية ويبتعد عن الاخرين والظلام يوشك ان يصبح كاملاً وهنا تذكرت على سهوة حكاية الظلام ولا ادرى لماذا نتذكر دائماً الاشياء الهامة فى اللحظات الاخيرة ؟؟ اعتقد ان الله سبحانه وتعالى يذكرنا بها لكى تكون اية شاهدة علينا بانه ذكرنا مرة ومرات ونحن مستمرون فى الغى والضلال .

المهم انى ادركت موضوع الظلام وبدلاً من اتخاذ قرار تاريخى بنهاية المهزلة والخروج من المياه ليتبعنى الجميع صاغرين وجدت نفسى وبعبقريتى الاجرامية التى اتمتع بها والحمد لله اناشدهم التجاوز عن موضوع الرؤية لانه ببساطة الدنيا ضلمت وما حدش حيشوف حد والافضل هو الاعتماد على الصوت بمعنى انه بدلاً من ان يعتمد كل فرد فينا على رؤية الاخرين يكتفى بالاستماع الى اصواتهم للتأكد بان كل شئ تمام .

وطبعاً تجاهلت تماماً موضوع انه اذا حدث مكروه لا قدر الله لن يجدى الصوت فى شئ لاننا ببساطة متناهية لن نستطيع تحديد مكان صاحب المشكلة لاننا تحولنا مع الاسف بمرور الوقت الى ان احداً فينا لا يرى الاخر تماماً واذا كان الوضع بالنسبة لنا نحن الكبار مقبولاً بعض الشئ فانه كان فى غاية الخطورة بالنسبة

للشقيق الاصغر الذى كان يتواجد فى مساحة اخرى تماماً بعيدة عنا.. تتناسب مع طوله بمعنى انه لا يمكن تحديد مكانه قبل عدة دقائق .

هذه المخالفة الصريحة للتعليمات دفعت الاب للعودة الى الشاطئ مرة اخرى والاندهاش حينما وجدنا جميعاً بقيادة الكابتن الهمام لا زلنا فى المياه فبدأ بالنداء على الجميع بالخروج لأن الدنيا ضلمت والمياه اصبحت تلج الا انه لا ادرى لماذا لم نستمع له أو اننا تعمدنا ان نتجاهله على اعتبار انه حيزهق ويمشى ويسلم امره لله وهنا فقط تذكرت مقتضيات شارة الكابتن وطلبت من الجميع ان يخرجوا على ان ابقى انا وحدى باعتبار انى ما عنديش حد يسأل عليا وهما لازم يسمعوا كلام والدهم ولكن طبعاً هيهات ان يلتزم احد بالتعليمات وهم اصلاً يسمعوا صوتى ولا يروا وجهى . وبعد عدة دقائق ظهر صوت الشقيق الاصغر وهو ينادى علينا جميعاً ويوضح لنا ان الاب المسكين ما زهقش ولا حاجة زى ما كنا فاكرين وانه تحول من مرحلة النداء الى مرحلة الصراخ والتهديد والوعيد والسب وهنا توقف الجميع عن المزاح وادركنا اننا بدأنا نعانى من مشكلة ما ..... اكدها الشقيق الاصغر الذى سمح له وجوده بجوار الشاطئ بسماع الصوت بوضوح وملاحظة غير دقيقة لشكل الملامح وتحولت المشكلة فجاءة الى ازمة حينما اكد هذا المفعوص ان الاب لم يتحرك من مكانه منذ اكثر من عشرة دقائق وانه ينادى باستمرار وانه الان صار يهدد ويتوعد بمنتهى الحدة ولا ادرى لماذا انتابنى وقتها رغبة فى ان ادوس على هذا المفعوص واغرقه فى المياه لانه لماذا لم يتحدث مبكراً قبل ان تستفحل الامور لاننى كنت فى الداخل ولم اكن اسمع الا صوت المياه ولا ارى الا اشباح وخيالات ولم يعد الامر يحتمل تأجيل الا لاحصل على اخر غطسة قبل الرحيل وابلل نفسى باخر قطرات مياه ممكنة بعدها كان يمكن ان اتحرك ليتحرك ورائى الجميع وخرجنا

وكأننا الجنود الفرنسيين الذين سلموا انفسهم للقوات الانجليزية للرحيل على سفن انجليزية الى فرنسا بعد فشل حملتهم الى مصر واستغلالاً للاتفاق الذى عقده اخر جنرالتهم مينو مع الانجليز ولعل هذا هو السبب فى استعارة اسم موقعة ابى قير لهذا الموقف الغريب .

خرجنا منكسى الرؤوس وعلى استعداد لتقبل اى نوع من النقد والعتاب فقط ومش اى حاجة تانية من الاب الذى ظل يهتف لمدة ربع ساعة متواصلة ولا احد يجيب عليه علشان اكون واضح ومحدش يفهمنى غلط ويفهم انى ممكن اتقبل اى حاجة غير النقد الشفوى لاننى حتى هذه اللحظة كنت اسير حرب واسير الحرب وفقاً للمواثيق الدولية يجب ان يعامل بكل احترام ولا يتعرض لما يؤذى كرامته لكن طبعاً مواثيق دولية ايه والراجل عمال يصرخ بقاله ربع ساعة ومحدش معبره خلينا برضه نتكلم كلام منطقى شوية ..... وكعادتى فى مثل هذه المواقف طلبت منهم ان يتركوا لى مهمة المفاوضات وتلطيف الاوضاع لما لى من باع طويل فى هذه الامور الدبلوماسية وقبل ان تطأ اقدامنا الشاطئ كنت قد بدأت المساومة على مقابل تخليصهم من تلك الورطة باعتبارى بره الموضوع والعملية كلها بين اب واولاده وما انا الا وسيط خير ولكن كانت الصدمة الكبرى حينما باغتنى الاب بحركة مفاجئة لم اكن اعمل لها اى حساب ولم اتوقعها من الاساس فقد استغل وجوده على الشاطئ طوال هذه المدة وقام بجمع كل الملابس والفوط فى شنطة واحدة وانتظر حتى نخرج من الماء ليكون العقاب اشد ثم نظر الينا بازدراء وانطلق يحمل الشنطة باقصى سرعة .. بينما نحن فى ذهول تام ولا ندرى ماذا نفعل وفى محاولة لاختيار الشخص المناسب الذى يمكن ان يعتذر له ويكون لاعتذاره صدى عنده فحاولت ان استفيد من خلاصة خبرتى فى الحياة واستدعيت المواقف المشابهة رغم انى لم ولن امر بموقف

شبيه بهذا الموقف وطلبت من الابن الاكبر (باعتباره البكرى واول واحد سمع منـــه كلمة بابا) ان يجرى وراءه ويضحك على عقله بكلمتين وياخذ منه الملابس والفوط الا انه تقاعس بندالة واكد انه يعرف والده جيداً وانه طالما وصل لهذه المرحلـــة لا يمكن ان يقنعه احد بالعودة عن تفكيره ..

وسريعاً فكرت فى استبدال الاكبر بالاصغر لاستغلال انه اخر العنقود والدلوعة وانه طالما ان ألاب خرج من نطاق الاستمالات العقلية فانه ربما يستجيب للاستمالات العاطفية الا ان الصغير وضحت عليه علامات الذعر لمجرد ذكر اســمه وطبعــاً لان عقلى لا يتوقف عن التفكير وفور ان لاحظت علامات الذعر على الــشقيق الاصـــغر فكرت فى الابن المتوسط باعتباره لا كده ولا كـــده ولا هـــو اســتمالات عقليـــة ولا عاطفية ولا يحزنون واهوه اى حاجة والسلام المهم نخرج من الورطـــة وطبعـــاً رد فعله ما اختلفش كتير عن الكبير والصغير ..

المهم بقينا بنخبط فى بعض والاب يبتعد عن مرمى البــصر ومعـــه الملابـــس والفوط ونحن نشيعه بمزيج من نظرات الذهول والعجز والحيرة وحينما استعيد هـــذا الموقف استعجب لماذا بدلاً من ان اعيش فى دور قائد الفريـــق لـــم ابـــادر بحـــسم الموقف والتوجه للاب واقناعه بالعدول عن نيته بطريقتى الدبلوماسية ولكـــن يبـــدو انى وقتها كنت من الذكاء لادرك ان اهلى قالوا ليا اضرب الطويل يخاف القصير بس. ده كان طويل اوى وان طرقى الدبلوماسية مهما زادت وتعاظمت لن تفلح هذه المرة ومفيش داعى احرج نفسى قدام العيال واطلع نص كم ولكنى اكتشفت انى ما طلعتش نص كم وبس ده انا طلعت من غير كم خالص . فقد اختفى الاب عن الانظار وغاب فى الزحام وبدأنا نفيق من نشوة السباحة والغطس فى الظلام وصدمة حركـــة الاب اللى مش تمام الى ما صار اليه واقعنا بدون كلام وادركنا ان الموقف بقى زى الافلام

واننا سوف نضطر للسير عراة العظام حتى نصل الى شقتنا بالتمام وان الموضــوع ده مكانش فى الاحلام .

بدأ كل منا يلملم نفسه ويستعد للتعامل مع الموقف بشئ من الجدية الممزوجة بالسخرية وفوجئنا والحمد لله بان الرجل كان كريماً معنا الى اقصى الحدود وترك لنا ما نلبسه فى اقدامنا والا تحولنا رسمياً الى الحفاة العراة وبدأت اتذكر ان الجو بقــى برد وانه اذا امكننا ان نسير هكذا عراة الصدور فانه لا يمكن ان نحتمل المياه علــى اجسامنا وهنا ندمت انه لم يكن كريماً اكثر ويترك لنا الفوط او حتى فوطة واحدة او حتى اى شئ نجفف به اجسامنا .

وبدأت افكر بعبقريتى وقدرتى الفذة على الخروج من المطبات ان احــل هــذا اللوغاريتم قبل ان نشرع فى الحركة وهدانى تفكيرى فجأة الى اننى قبــل ان انــزل المياه كنت امسك منديلاً ورقياً لاجفف عرقى طوال الطريق الى الشاطئ وانى لحسن الحظ القيت هذا المنديل على الارض قبل ان انزل البحر وبدأت رحلة البحث عن هذا المنديل المعجزة فى الظلام فوجدته ملقى والحمد لله على الرمال ولم تطولــه ايــدى عمال الشاطئ الذين يحرصون على تنظيف الشاطئ من كل شئ بشكل مستمر حتــى يكون الشاطئ فى الصباح زى الفل .وحينما وجدته اكتشفت انه حالته مزرية وانــه مكرمش كعادتى فى التعامل مع غيره من المناديل الورقية او حتى العملات النقديــة التى تخرج من جيبى او يدى وكأنها تخرج من الغسالة ويبدو ان الموضوع مــرتبط بحالة نفسية .. ما علينا .. تعاملت مع هذا المنديل بمزيد من الاحتــرام واصــبحت كمن وجد كنز وبدأت احاول فرده واستغلال انه طبقتين وليس طبقة واحدة للاستفادة من قدرته على التجفيف .. وطبعاً لما يكن الوقت يسمح لى بايضاح واثبــات صــفة الايثار التى اتمتع بها والحمد لله فالمنديل حالته تصعب على الكافر ولا تسمح حالته

باى مشاركة من اى نوع وقلت لنفسى ساعة الطوفان حط ابنك تحت رجليك وحاولت ان اجفف نفسى بالمنديل واحفظ ما تبقى لى من ماء الوجه امام الاولاد بان احمد الله على بعد نظرى الذى سمح لى بان القى المنديل على الرمال وليس فى المـاء لكـى استفيد به فى الظروف الحالكة السواد وبينى وبين نفسى احمد الله ان الاب لم يلاحظ وجود المنديل اليتيم والا كان جمعه فى جملة ما جمع واختفى عن الانظار .

وبعد مرحلة التجفيف التمثيلية لان المنديل طبعاً ما عملش اى حاجة حرصـت على ان اظل قائداً حتى النهاية وهذا دائماً هو حال القادة العظـام حينمـا يقـودون جيوشهم نحو الهزيمة فانهم يصممون على استكمال المسيرة واعطاء الاوامر حتـى فى حالات التشرذم والانسحاب واسترجعت جزءاً من كبريائى المفقـود واحسـست بالزهو وانا اصدر اخر فرماناتى واطلب منهم التحرك وكأن مفيش اى حاجة حصلت لانى متأكد ان الناس لا تنظر الى هيئة الشخص ولكن تهتم بثقته بنفسه فى المقـام الاول وطالما ان الثقة موجودة لا يهم اى شئ فاهم حاجة الثقة .

وطالبتهم بان يسيروا مرفوعى الرؤوس ولا يكترثوا بنظـرات الاسـتغراب او حتى الازدراء من الناس وعليهم ان يحتملوا اقدارهم فى شجاعة ويتحملـوا بـرودة الجو دون ان يصدر عنهم اى شئ يثبت انهم يشعرون باى نوع من البرد لان هـذا سوف يجعل الناس يشعرون ان ديه تقليعة جديدة وموضة من الموضات اللى بتطلع كل يوم علينا واهو موقف ويعدى .. وطبعاً لم اذكر لهم اننـى اسـتفدت فـى اخـر فرماناتى العسكرية من ذاكرتى السينمائية واقتبسته من الراحل عبد السلام النابلسى فى فيلم ليالى الحب مع عبد الحليم حافظ حينما رفضوا استلام ملابسهم القديمة فى الفندق حتى لا يفتضح امرهم واضطروا للسير فى الشارع بالمايوهات ولم اذكر لهم انه فى النهاية اتهمهم المارة بالجنون طبعا حتى لا احطم روح جنودى المعنوية !!!

وطبعاً كان علينا الاصطدام بحقيقة مريرة وهى ان الساعة تخطت الثامنة وتقترب من التاسعة والكورنيش اصبح ممتلئاً برواده وجميعهم يرتدون ملابس عادية ولا يوجد من يرتدى ملابس البحر فما بالنا بمن لا يرتدون ملابس من الاساس . وكانت الطامة الكبرى ان الكورنيش لم يمتلئ فقط برواده اللى لابسين هدوم وبس وانما ايضا امتلئ بالسيارات فى اتجاهين مما يعنى اننا عند عبور الكورنيش سوف نضطر لاستعراض اجسامنا فى عرض جماعى فاشل لكمال الاجسام امام المارة وقائدى السيارات بل وحتى الموتوسكيلات والدراجات .

ولا اريد ان اتذكر كم مرة تمنيت ان تنشق الارض وتبلعنى او انى كنت اموت قبل ما اشوف اليوم ده وطبعاً وقتها حاولت ان اهون على نفسى الامر قليلاً بانى استبعدت ان يرانى احد معارفى او من اتعامل معهم بحكم وظيفتى الاعلامية ويشاهدوننى فى هيئة اخرى او على الاقل بملابسى والا بقت فضيحة يعلم الله وحده متى وكيف ستنتهى ..

وطبعاً لم انس ان اؤكد لنفسى لمزيد من الاطمئنان ان مصر حتى الان لم تعرف هذا النمط السخيف من المصورين الصحفيين الذين يطلق عليهم البابارانزى الذين يعيشون على تصوير فضائح المشاهير واكدت لنفسى امعاناً فى الاطمئنان ان مصورى الصحف الصفراء اكيد موجودين فى مارينا والساحل الشمالى للاستفادة من الصخب الموجود هناك ومش ممكن يكونوا موجودين فى شاطئ مطروح الهادئ والا تبقى نهاية مشوارى الاعلامى قبل ما يبدأ . والاهم من كل ده ان ايامها مكنش لسه فيه الموبايل ابو كاميرا .. المتنيل على عينه ده اللى كان ممكن يودينى فى داهية لو واحد حب يستظرف ويلقط ليا صورة تذكارية .. وهنا تأكد لى ان الامر تخطى موقعة ابى قير وتجاوز نتائجها لانه بعد موقف الاب المتعنت تحول الامر من تسليم انفسنا

الى عدو كما حدث عند رحيل الحملة الفرنسية الى اننا اصبحنا مجبرين على السير على النحو السالف الذكر فى الشارع دون وجود اى مظلة جوية او هوائية او مظلة من اى نوع وكأننا اشبه بالجنود المصريين فى حرب ٦٧ اى اننا تخطينا مرحلة اسرى الحرب الى مرحلة ضحايا الحرب .

والحمد لله عبرنا الكورنيش بمعجزة لنصل الى الضفة الاخرى وبدأت المرحلة الاصعب وهى مرحلة السير فى الشوارع الداخلية التى ليس لها اى علاقة لا بالبحر ولا الكورنيش ولا باى حاجة ولا اعرف لماذا بدا لي المشوار طويلاً مع اننا كنا نقطعه زى الشياطين يومياً عدة مرات وبدأنا نقترب شيئاً فشيئاً من العمارة وكانت هذه اصعب مراحل الموضوع ان نصعد السلالم الساعة التاسعة مساءاً وهو ليس وقت سباحة ولا غيره بهذا المنظر الذى يتعارض مع كل اداب المصايف او الصيف او التصييف او حتى الاداب العامة .. واعتقد اننى مهما عشت لا يمكن ان انسى موقف ذلك الكهل العجوز الذى جلس على باب العمارة على كرسياً خشبياً ينتظر صلاة العشاء وهو يمعن النظر فينا بشئ من عدم التصديق والذهول ثم مبادرتى له بنوع من الثقة والتحدى بالقاء السلام قائلاً باخر ما املك من كبرياء السلام عليكم بصوت حرصت على ان يكون اعلى من العادى ثم رده عليا وعليكم السلام وانا اثق انه يقول بينه وبين نفسه ايه شوية المجانين دول !!! بالتأكيد كان التعامل الاول مع الموقف به نوع من الانفعال لانى رفضت رغم كل ما فعلته ان يكون رد الفعل بهذا الشكل ورفضت ان يقوم احد بتربية اولاده على حسابى الا اننى بعد غياب الانفعال المباشر وكلما تذكرت هذه الواقعة او الموقعة مع احد من اطرافها اجد نفسى انفجر فى الضحك من ملابسات الموقف حتى صرنا نتهكم على مكان حدوثه ونقول فى هذه البقعة حدثت موقعة ابى قير البحرية الجديدة عام ٢٠٠٣ ..

الا ان اطرف استرجاع لهذه الحكاية كان حينما استرجعت مع الاب الموضوع بشكل كوميدى فوجدته يذكرنى بمعلومة فى قمة الطرافة لم انتبه لها من قبل وانشغلت عنها بتفاصيل اخرى بدت لى اكثر اهمية وهذه المعلومة ببساطة اننى اكره تراكم الملح على جسدى ولذلك احرص دائماً عند التوجه للبحر على اصطحاب زجاجة او زجاجتين من المياه العذبة لكى اخلص جسدى من اثار الملح وانى فى يوم الواقعة فعلاً كنت قد احضرت زجاجتين من المياه معى فئة ٢ لتر وان الوالد فى غمرة انفعاله ورغبته فى تلقيننا درساً جيداً حمل كل متعلقاتنا من ملابس وفوط وايضاً الزجاجتين وجرى بهما نحو البيت ونسى فى عز انفعاله ان يرمى بالزجاجتين فى الطريق ورجع بهما الى البيت وصعد بهما السلالم ولم ينتبه الى عدم جدوى ذلك الا فيما بعد ووجدته حينما كنا نسترجع التفاصيل يقول لي انا مش عارف ايه اللى خلانى اشيل الميه كل المسافة ديه وليه ما رمتهاش ؟؟؟!!! واخيراً فانى احب ان اوضح انى سميت هذه الموقعة ابى قير البحرية تمييزاً لها عن موقعة ابى قير البرية وتلك حكاية اخرى ...

****

الحاج متولى

يذكر التاريخ الكروى المصرى لنا العديد من الشخصيات منذ دخول كرة القدم مصر فى بداية القرن العشرين على يد محمد افندى ناشد وحكاية دخول كرة القدم لمصر حكاية طريفة ليس مجال ذكرها الان .

ولكن ما يهمنا ان بعض هذه الشخصيات كان ملء السمع والبصر فى مجال ممارسة اللعبة مثل عبد الكريم صقر والضظوى والشاذلى ومصطفى رياض ومكاوى وغيرهم والبعض الاخر فى مجال الادارة مثل حلمى زامورا والفريق عبد المحسن مرتجى وحسن عامر وصالح سليم وهناك محمد لطيف وميمى الشربينى ومحمود بكر فى التعليق ومصطفى كامل منصور ومحمد حسام ومحمود عثمان فى مجال التحكيم وفؤاد صدقى والجوهرى وعصام بهيج فى مجال التدريب ..

الا انه فى وجهة نظرى المتواضعة ان اطرف واغرب الشخصيات فى تاريخ مصر الكروى هو الحاج سيد متولى رئيس النادى المصرى الذى وصل الى رئاسة النادى فى النصف الاول من الثمانينات ومن يومها والرجل يخرج من النادى المصرى ليعود له مرة اخرى ويعود ليخرج ثانية وهكذا ... ومع ذلك لم يمل الرجل ذلك ولم تمل جماهير بورسعيد انتخابه ولا احد يعرف من فيهما قدر الاخر فهل سيد متولى قدر المصرى ام ان المصرى هو قدر سيد متولى ولكن يبدو كما يقول المثل العامى القط بيحب خناقه .. ورغم غرابة تلك العلاقة الترابطية بين سيد متولى والمصرى الا ان تاريخ متولى مع المصرى يحمل الكثير من القصص الطريفة منها ما حدث فى نهائى الكأس فى منتصف الثمانينات وكانت المباراة بين الاهلى والمصرى وتقدم المصرى وقتها بهدف طارق سليمان وسارت الدقائق سريعة على الاف الاهلاوية فى ستاد القاهرة الذين شاهدوا احلامهم فى الفوز بكأس مصر

تتضاؤل مع كل فرصة تضيع من نجوم الجيل الذهبى فـى تلـك الفتـرة الخطيـب ومصطفى عبده وطاهر ابو زيد وربيع ياسين وعلى النقيض مرت الـدقائق بطيئـة على جماهير بورسعيد التى شاهدت حلمها يقترب من التحقيق لاول مرة فى تاريخها مع استبسال الدفاع البورسعيدى ومن خلفه الحارس العملاق عـادل عبـد المـنعم واقتربت المباراة من النهاية الا ان النجم الصاعد فى ذلك الوقت علاء ميهوب كـان له رأى اخر فقد احرز هدف التعادل فى الثوانى الاخيرة من المباراة لتنقلـب الايـة وتنتعش الجماهير الاهلاوية وتظهر روح الفانلة الحمراء بينما تنهار معنويات ابناء بورسـعيد ويفـوز الاهلـى فـى الوقـت الاضـافى (٣-١) ..

ولكن اطرف ما يذكر عن تلك المباراة هو موقف سيد متولى رئـيس النـادى المصرى الذى قيل انه قبيل نهاية المباراة وبعد ان تأكد من فوز المـصرى حـرص على ربط الكرافت الخاص به استعداداً لتسلم الكأس من مندوب رئيس الجمهوريـة ولكن معلهش يا حاج سيد خيرها فى غيرها .. ويا فرحة ما تمـت خـدها ميهـوب وطار .. وداكور يا حاج !!!

وفى بداية التسعينات حرص الحاج سـيد متـولى علـى اسـتثمار موضـوع الاحتراف واتفق مع المدرب محمود الجوهرى على بنـاء فريـق جديـد للمـصرى لتطبيق تجربة الاحتراف الكاملة . ولكن عودة الجوهرى لتـدريب منتخـب مـصر اجهضت التجربة مبكراً ليدخل الحاج سيد ومعه المصرى بعدها مرحلة انعـدام وزن يبدأها باستيراد مدربين من كل بلاد الدنيا لتدريب الفريق فشلوا جميعاً فى تقـديم اى جديد للمصرى . هذا طبعاً علاوة على انه صاحب الفضل الاول فى ادخال اللاعبـين الروس الى مصر وكان النادى المصرى اول نادى يلعب به لاعب من روسيا .. اصل اللعيبة المصريين يعنى كانوا خلصوا . قال زى القرع يمد لبره ...

ونتيجة هذا الفشل التدريبى وعدم نجاح المدربين الاوروبيين واللاتنيين مع المصرى فكر سيد متولى فى استيراد مدرب افريقى لتدريب المصرى وهى المرة الوحيدة فى تاريخ ألكرة المصرية التى فكر فيها احد مجرد تفكير فقط فى استيراد مدرب من افريقيا السمراء وكان هذا المدرب هو الغانى مالك جابر مدرب نادى اشانتى كوتوكو واستغل سيد متولى فرصة تواجده فى مصر لمقابلة الزمالك فى نهائى افريقيا عام ٩٣ لمفاوضته والحمد لله ان تلك المفاوضات فشلت فشلاً ذريعاً لانها كان يمكن ان تكون سابقة فى منتهى الخطورة ربما تقضى على سمعة المدرب المصرى فى افريقيا .. وقال يعنى الحكاية كانت ناقصك يا حاج سيد .

والاطرف انه اثناء بطولة امم اسيا عام ٩٦ فى الامارات ظهر بوضوح تألق المنتخب الايرانى بقيادة مدربه الوطنى على مهجرانى وحاول بعض الصحفيين المصريين مداعبته والتعرف منه على امكانية استقدامه للتدريب فى مصر فرد الرجل بنفس الطريقة المازحة وقال كله الا المصرى والسيد متولى . ورغم شهرة سيد متولى فى كرة القدم الا ان شهرته فى مجال الزواج طغت فى بعض الاحيان على شهرته فى مجال الكرة فقد تزوج اكثر من مرة ولعل اشهر زيجاته كانت من الفنانة المعتزلة سهير رمزى وبذلك يستحق سيد متولى لقب الحاج متولى !!! الا ان اطرف مغامرات سيد متولى كانت استقدامه لمدرب مقدونى لتدريب فريق المصرى وهى ايضاً السابقة الاولى لاستقدام مدرب من مقدونيا الحديثة العهد بكرة القدم لتدريب احد الاندية المصرية ورغم طرافة استقدام المدرب المقدونى الا ان الحديث الصحفى الذى اجرى معه عقب وصوله الى مصر يحمل الكثير من الطرافة فقد ذكر الرجل انه وافق على التدريب فى مصر بسبب شخصين الاول هو محمود الجوهرى والثانى هو حسام حسن وحينما اراد الصحفى الاستفسار اكد له انه الجوهـــرى كـــان مدربـــاً

للمنتخب المصرى فى المباراة التجريبية التى جرت مع مقدونيا على ارضها عام ٨٩ اثناء استعداد مصر لكأس العالم ٩٠ وانتهت بفوز مصر (٢_٠) وقت ان كان هـو مدرباً للمنتخب المقدونى . ثم تسائل الصحفى عن كيفية معرفته بحسام حسن فاكد له المدرب المقدونى ان حسام هو الذى احرز الهدفين !! وقد فوجئ عند قدومه لتدريب المصرى انه ما زال فى الملاعب بعد اكثر من ١٦ عام وربنا يوفق الجميع ..

****

انا والعميد

حتى الان لا استطيع ان احدد سبب الهوس الذى اصابنى بحسام حسن فحتى نهاية القرن الماضى كنت لا اهتم كثيراً بحسام او توأمه ابراهيم بل اننى كنت اكره عصبيتهم الزائدة وخلافاتهم المستمرة مع جميع عناصر اللعبة . وكمان بينى وبينكم كنت باكره حماسهم الشديد للنادى الاهلى وغيرتهم الشديدة على الفانلة الحمراء تلك الغيرة اللى ساهمت فى حصول الاهلى على العديد من البطولات بما يتنافى مع طبيعتى الزملكاوية وبصراحة كده كانوا تقال على قلبى .

حتى عندما كان حسام احد العناصر الاساسية لفوز مصر ببطولة افريقيا ببوركينا فاسو عام ٩٨ وحصل على لقب هداف البطولة لم ابالى بذلك كثيراً بل اننى حينما نشرت كتابى الاول حدوتة افريقية عن تاريخ كأس الامم الافريقية لم اكتب عن حسام الا سطور قليلة سواء فى تلك البطولة او طوال الكتاب .

ربما كانت نقطة التحول فى علاقتى بحسام هى انتقاله للزمالك فى بداية القرن الحالى لانى فجأة وجدت التوأم يلعب للزمالك وليس للاهلى وبصراحة انا وقتها لاقيتها فرصة للشماتة فى الاهلاوية الحلوين الذى كانوا لا زالوا يتشدقون بصفقة رضا عبد العال الذى احرز مع الزمالك الدورى مرتين ثم انتقل للاهلى ليحرز معه الدورى خمس مرات متتالية . ولا زالت اذكر محاولاتى لاستفزاز ياسر احد اقاربى والاهلاوى المتشدد حينما كنت اؤكد له ان الزمالك لا يهتم بالفوز على الاهلى او حتى الحصول على البطولات لكن الاهم هو حصوله على التوأم وكنت اقول له مش مهم يا ياسر تفوزوا بالدورى سبع سنين المهم ان احنا معنا حسام وابراهيم .. وقتها كان يرد محاولاً اظهار التماسك مؤكداً ان ان الاهلى لا يتوقف على اى لاعب

ويزيد على ذلك بالهجوم المتعمد على التوأم والتأكيد انهم صفقة فاشلة ويتسائل بسخرية ماذا سوف يقدمون للزمالك وهم فى سن ال ٣٥ وهذه هى افة مشجعى الكرة المصرية سواء اهلاوية او زملكاوية لا سيما المتعصبين منهم انك تجد الواحد منهم يحب لاعب معين ويشيد به كثيراً ويصفه بافضل الصفات واذا انتقل ذات اللاعب الى النادى المنافس تجد انه ينقلب بين يوم وليلة ويتحول الى النقيض ويسمه بابشع الصفات .

ولكن لحسن حظى وعلشان ما اتحرجش قدام الاستاذ ياسر لم يحصل الزمالك على التوأم فقط ولكن حصل على البطولات وحقق الفوز على الاهلى اكثر من مرة وسقط كلامه بان الاهلى لا يتأثر بغياب لاعب وانهار الاهلى لغياب التوأم ووصل عدد البطولات التى حققها التوأم مع الزمالك طوال فترة وجودهم ١١ بطولة منها ثلاث بطولات للدورى العام فى انجاز زملكاوى غير مسبوق علاوة على الفوز على الاهلى فى اكثر من مباراة بالاضافة الى اهداف حسام المتعددة فى كل البطولات واهداف ابراهيم المؤثرة .

لكن حتى هذه اللحظة كانت علاقتى بحسام تقتصر على الاعجاب العادى الذى يشاركنى فيه الكثير من مشجعى الزمالك وقليل من مشجعى الاهلى . لكن نقطة التحول الحقيقية من الاعجاب الى الهوس بدأت حينما توقعت منذ عامين ان يشارك العميد (وهو اللقب الذى احب ان اطلقه على حسام حسن) فى بطولة افريقيا ٢٠٠٦ بمصر ويحصل على الكأس مثلما فعل عام ٩٨ رغم انه كان مستبعداً وقتها من المنتخب فى تلك الفترة ولم يكن فى الصورة باى حال من الاحوال . ولا يمكن ان اصف لكم كمية السخرية والتهكم التى سمعتها حتى من اقرب المقربين لى والذين اكدوا ان حسام لا يمكن ان يعود للمنتخب وانه حتى لو عاد لن تصبح له اى قيمة

فنية لانه شاخ واجدر به ان يعتزل الا اننى كنت اقابل تهكمهم وسخريتهم بمزيد من الثقة . وكم كانت سعادتى كبيرة حينما بدأ الجزء الاول من النبوءة يتحقق بانضمام حسام الى قائمة المنتخب فى البطولة بعد غياب فترة طويلة ولذلك كنت حريصاً على ارسال رسالة تليفونيه لكل اصدقائى قبل البطولة تقول حنرجع الكاس من جديد طول ما فى سيادة العميد .

وحينما استضافونى فى احدى الاذاعات الخاصة للمشاركة فى فترة مفتوحة لمدة ساعتين قبل البطولة الافريقية كنت الضيف الوحيد خلالها بعد اعتذار الضيف الاخر تكلمت عن البطولة وطرائفها ومفارقتها ولكننى تعمدت بالطبع تخصيص ما يقرب من الخمسة دقائق للحديث عن العميد وارقامه القياسية .

وبحكم خلفيتى الرياضية تم اختيارى لتغطية البطولة الافريقية لبرنامج القاهرة اليوم وطبعاً كانت فرصة عمرى لأرى العميد على الطبيعة فقد كنت حتى هذه اللحظة لم أرى حسام على الطبيعة من قبل وبدلاً من ان أرى حسام مرة واحدة رأيته العديد من المرات بل اننى لم تمر مباراة الا وحرصت قبل اى شئ على لقاء العميد بعد المباراة .وهذا الهوس بالعميد سبب لى خلال البطولة العديد من المفارقات الاعلامية والشخصية الطريفة فلا يمكن ان انسى منظرى فى مباراة الافتتاح وانا فى وسط مقصورة الاعلاميين من مختلف الدول وكلهم يجلسون ويتابعون المباراة باحترام حينما انتفضت كالمجنون من مكانى هاتفاً باسم حسام لمجرد اننى رأيته يسخن خارج الملعب. وطبعاً مفهوم انى بعد فوز مصر على ليبيا فى مباراة الافتتاح(٣_ ٠) استنكرت الفوز واكدت ان مشاركة العميد كان يمكن ان تضاعف الفوز وان حسن شحاتة اخطأ باحتفاظه بالعميد على كرسى البدلاء .. واكدت ذلك لجميع اصدقائى من خلال الرسائل التليفونية وحينما كتبت السكريبت الخاص بتقرير المباراة حرصت

على ان اؤكد ان غياب العميد شكل علامة استفهام فى المباراة وان الجماهير تسائلت بشدة عن السر وراء عدم نزوله .

وفى المباراة التالية امام المغرب كنت على موعد مع موقف عجيب لاننى حينما كنت اشيع اوتوبيس الفريق المصرى وهو يتحرك بعد ان سألت بالتأكيد اعضاء الجهاز الفنى المصرى عن سر غياب العميد عن المباراة فوجئت باحد الزملاء يقول لى ان حسام تخلف عن اوتوبيس اللاعبين وانه لا زال يجرى بعض الاحاديث الصحفية والتليفزيونية ..

ووقتها لم اتمالك نفسى حينما وجدته يتحرك بعد ان انهى اللقاءات فوجدت نفسى اصرخ بمنتهى القوة كابتن حسام .. كابتن حسام .. محاولاً ايقافه حتى يتم تجهيز الكاميرا ولكنه اتفزع من صوتى وقال ايه ايه .. فيه ايه فقلت له اريد ان اسجل معك كلمة تليفزيونية فقال لى طيب بذهول من اسلوبى فى طلب اللقاء وصراخى غير المبرر !! وبعد المباراة الثالثة امام كوت دى فوار واثناء اجرائى لحديثى المفضل مع العميد حول مشاركته واداؤه المتميز يبدو انى زودتها حبتين حتى فوجئت بعد اللقاء بان صديقى فنى الصوت متعدد المواهب سامح الشافعى يؤكد لى ان كل مراسلى القنوات الاخرى كانوا فى شدة الاستياء منى بل انهم توسلوا اليه ان يجعلنى انهى اللقاء حتى يتمكنوا من مجرد الحصول على كلمة بسيطة من حسام لقنواتهم لاستكمال تقاريرهم عن المباراة ..

وكان ده الحال طول البطولة اى تقرير اعمله عن مباراة لمصر لو العميد ما لعبش اسأل هو ما لعبش ليه ولو لعب اقول انه لا يمكن تصور شكل المباراة من غير العميد وان العميد هو اللى جاب الفوز .. ده طبعاً علاوة على رسائلى التليفونية المستمرة لكل اصدقائى قبل المباريات اؤكد لهم فيها ان العميد لو شارك سوف يحرز

هدفاً حتى تحققت نبوءتى الصغرى واحرز العميد هدفاً رائعاً فى مباراة الكونغو فـــى دور الثمانية و لكن الاهم صدق توقعى الاساسى بان فازت مصر بالبطولـــة وتـــسلم حسام كأس البطولة من الرئيس مبارك ذلك المشهد الـــذى توقعتـــه وتخيلتـــه قبـــل البطولة بمدة طويلة .

وبعد فوز مصر طلبت منى ادارة مجلة الاستاد الرياضية اعداد ملـــف كامـــل عـــن البطولة الافريقية وبصراحة كنت حريصاً طول الملف ان احشر العميد فى اى حاجة سواء من خلال العناوين او من خـــلال الموضوعـــات لدرجـــة ان كريم ابن خـــالتى (المجنون بكرة القدم ويبدو ان عدوى حب الكرة اصابته من خلالى لدرجة ان خالتى تتهمنى دائماً باننى السبب فى تلف احواله) نبهنى اننى فى سياق موضوعى عـــن مباراة الكونغو كان نصف الموضوع تقريباً عن حسام حسن بينمـــا ذكـــرت حقـــائق المباراة بايجاز شديد فى النص التالى .. تخيلوا الجنـــان .. عـــلاوة طبعـــاً علـــى العناوين المنتشرة طوال الملف من قبيل : منتخب مصر تمام فى وجود العميد حسام .. فريق مصر حديد بقيادة سيادة العميد .. سيادة العميد حسام حطم كل الارقـــام .. رجعنا الكاس من جديد بوجود سيادة العميد . ده كمان غير البيوجرافى الكامل اللى عملته عن حسام حسن ولم تنشره المجلة لعدم وجود مـــساحة .. ســـوء حـــظ .. ووصل هوسى بالعميد لدرجة اننى اثناء ممارسة لعبتى المفضلة كرة القدم فى البلاى ستيشن اتعمد حشر العميد فى اى فريق العب به حتى لو كان ريال مدريد ولا يمكـــن ان اصف لكم حجم المعاناة التى اواجهها بسبب البطء الـــشديد للعميـــد لان الانـــدال صانعى اللعبة يحرصون على جعله بطيئاً وذو لياقة منخفضة تتناسب مع سنه لكـــن انا ما اقدرش العب اى مباراة دون وجود العميد ..ولكـــن اطـــرف المواقـــف التـــى تعرضت لها خلال البطولة بسبب الهوس بسيادة العميد هو اننى كنت حريصاً علـــى

سؤال المشجعين الافارقة فى اى مباراة عن حسام حسن لمعرفة رأيهــم فيــه دون سبب واضح او مفهوم .. الا رغبتى فى معرفة هل انا وحدى المجنــون بحــسام ام هناك اخرين فى دول مختلفة يشاركوننى نفس الهوس ؟؟ ولكننى لا يمكن ان انــسى رد فعل واحد من المشجعين الافارقة الذى صدمنى حينما سألته عن حــسام حــسن عندما رد بلغة عربية مكسرة قائلاً : ايه هسام هسن ده .. ايه هــسام هــسن ده .. واهد انده ٤٥ سنة .. ده لو هسن شهاتة نزل يلأب هيبقى اهسن منه !!!

ولكن الاطرف هو تعليق زميلى فى شبكة اوربت الاهلاوى المتعصب محمد عبد المنعم حينما زهقته من كثرة كلامى عن حسام حسن طوال ايام البطولة سواء فــى الكلام العادى او فى التقارير التى كنت اعدها عن البطولة فقال مستنكراً لصديق ثالث وليد مهتم بحسام حسن لدرجة انه يديك احساس ان حسام حسن كان بيصرف عليه وهو صغير !! وارد عليه لا يا منعم .. لا حيدينى ولا يغدينى ولا فيه مصلحة بينــى وبينه .. الا بلدنا وحب بلدنا وباقولها ورزقى على الله ..

****

عمالقة البحار

كنت دائماً معجباً بالناقد الفنى الكبير طارق الشناوى وكنت احب طريقته فى تحليل الافلام سواء على صفحات مجلة روز اليوسف او فى مقابلاته التليفزيونية العديدة ولكنى كنت اكثر اعجاباً به عندما يتحدث عن الفنانين وحكايتهم وذكرياته معهم لاننى كنت ولا زلت شغوفاً بتاريخ السينما وحكايات نجومها . ولذلك كنت حريصاً عندما قابلته فى اثناء عرض فيلمى الاول كلاسيكيات السينما المصرية بالمجلس الاعلى للثقافة بدار الاوبرا المصرية ان اطلب منه رقم موبايله ولكنى لم اتخيل وقتها اننا يمكن ان تنشأ بيننا صداقة .

وبعد فترة سمعت ان ادارة شركة اوربت بصدد انتاج برنامج سينمائى جديد بعنوان عمالقة الفن السابع على ان يقدمه الاستاذ طارق الشناوى ووقتها لم اكن مهتماً بالبرنامج لانى كنت اعمل فى برنامج اخر اسمه محليات وكنت كثير التهكم على اسم البرنامج وكنت اقول عمالقة البحار لدرجة ان الاسم شاع فوجدت ان العديد من زملائى يستخدمونه . وفوجئت بعد فترة قصيرة بمخرج البرنامج اكرم فريد يطلب منى بلباقة الاشتراك معه فى البرنامج لضبط بعض الامور تتعلق بالشرائط وتنظيم ديناميكية العمل محاولاً اقناعى بان البرنامج يتميز بايقاع مختلف وجو العمل فيه متميز .. ذلك العرض الذى تحول الى تكليف ادارى بتحويلى رسمياً الى برنامج عمالقة الفن السابع للسيطرة على المشاكل الضخمة التى بدأت تظهر فى البرنامج ولا انكر اننى كنت سعيداً بالطلب فى البداية والتكليف فى النهاية لان مضمون الطلب او التكليف يحمل نوعاً من التقدير لى باعتبار ان هناك امال معقودة على وجودى لحل هذه المشكلات هذا من ناحية ولكن الاهم هو عشقى الشديد لتلك النوعية من

البرامج التى تتناول تاريخ رموز العمل الفنى بالسرد سواء من خلال تاريخهم الفنى او مشوار حياتهم بشكل عام من ناحية اخرى وهو الامر الذى كان يجهلــه الجميــع بمن فيهم المخرج اكرم فريد نفسه والذى كان لا يطمح فى اكثر من تنظــيم العمــل داخل البرنامج فقط .

ومع بداية العمل بدأت فى التعرف عن قرب على الاستاذ طارق الشناوى بحكم اننى كنت الاكثر اقتراباً منه بحكم طبيعة العمل ووجدت انه شخص لطيف متواضــع يتمتع بروح شابة طريفة علاوة على خفة ظله الواضحة وبدأ هو يلاحظ مدى عشقى للسينما وتاريخها ومعرفتى للكثير من حواديت الوسط الفنــى وقــوة ذاكرتــى فــى استدعاء تلك الحكايات واللمحات فتوطدت بيننا صداقة اكبر من نطاق العمــل وبــدأ يعتمد عليا كثيراً فى اعداد البرنامج .

ومع دوران عجلة العمل بدأ يزداد استمتاعى بالاشتراك فى البرنــامج الــذى يعتمد على عمل لقاءات تليفزيونية مع العديد من النجوم والعاملين فى الوسط الفنى لسرد ذكرياتهم عن رموز السينما فى مصر بالاضافة الى اعتمــاده علــى ارشــيف الافلام السينمائية المتوافر لدى شبكة اوربت التى تتميز بوجود النسخ الاصلية مــن الافلام مما اتاح لى مشاهدة عدد ضخم من الافلام سواء التى شاهدتها من قبل بعــد حذف بعض مشاهدها او التى لم اشاهدها من الاساس او حتى تلك التــى شــاهدتها ولكنى اعشق مشاهدتها مرة ومرات . وبمرور الوقت زاد الاعتماد عليا فى البرنامج لدرجة ان المخرج اكرم اصبح يترك لى الحرية فى اختيار كل ما يتعلق بالبرنامج من كلمات الضيوف ومشاهد الافلام وترتيبها وغيرها مما يتعلق باخراج برنــامج بهــذا الحجم .هذا من زاوية فكرة البرنامج او مضمونه واسلوب العمل فيه ومــن زاويــة الصداقة مع مقدم ومعد البرنامج الاستاذ طارق الشناوى ولكن كان الاهم من كل ذلك

هو توافر مجموعة نادرة من الاشخاص للعمل فى ذلك البرنامج جعلت مناخ العمل فى البرنامج فى منتهى الحيوية والطرافة . بداية من المخرج اكرم فريد ومروراً بالمصور الموهوب محمد الحفناوى ومدير الانتاج العاشق للسينما معتز عبد الوهاب ونهاية بالمونتيرين سواء سيادة اللواء محمد فؤاد او محمد غنيم الذين كان يصر استاذ طارق على تسميتهم بالشرير والطيب لان محمد فؤاد يعطى لك انطباعاً دائماً بانك تتعامل مع واحد من المباحث بنظرات عينيه وشاربه ولا زلت اذكر اننى اثناء وجودى لمونتاج اى شئ معه كنت اظل طوال فترة المونتاج خائفاً واظل اصفق على اى شئ يقوم به واقول له الله يا محمد .. الله يا محمد .. ولا استطيع ان اطلب منه تغيير اى شئ ثم اخرج من المونتاج لازلت اصفق مرعوباً بالطبع امال ايه مش كنت مع مخبر !! المهم نسيبنا من محمد فؤاد وعلاقته بالمباحث ونعود للبرنامج الذى تحولنا فيه بمرور الوقت ومع زيادة العشرة الى ان اصبحنا مجموعة مشاغبين كما فى مسرحية العيال كبرت او مدرسة المشاغبين وكان الاستاذ طارق مثل حسن مصطفى الاب فى العيال كبرت او ناظر المدرسة فى مدرسة المشاغبين وكانت مداعبتنا دائمة سواء اثناء تصوير اللقاءات مع النجوم او عند تصوير الاجزاء الخاصة باستاذ طارق لدرجة اننا كنا نستغل الاتصالات الداخلية بين غرفة التحكم والاستديو لتقديم افيهاتنا بدلاً من ان نستخدمها فى نقل التعليمات . .

ومن المواقف الطريفة اننا اثناء تصوير بعض اللقاءات التليفزيونية الخاصة بالبرنامج مع النجوم جاءت صحفية شابة للقاء استاذ طارق وانتظرت معنا لمشاهدة تصوير بعض اللقاءات وعندما جاءت الفنانة لبلبة على ما اذكر للتسجيل حرص الاستاذ طارق على تقديمنا لها بان اكرم هو المخرج ووليد هو المخرج المنفذ ومعتز هو المخرج المنفذ (ومش عارف ايه البرنامج اللى ليه ثلاث مخرجين ده ؟!) ثم

توقف لحظة عند رغبته فى تقديم هذه الصحفية مهو بصراحة مكانش ينفع يقول انها ضيفة وكان مستحيل يقول برضه انها مخرج منفذ هى كمان لان ما ينفعش يبقى فيه ٣ مخرجين منفذين فى برنامج واحد يعنى كل واحد فيهم حينفذ ايه يعنى ومين حينفس فى مين !! لكن استاذ طارق خرج من المطب بلباقة وفوجئنا به يقول للفنانة لبلبة فلانة من الجهاز الفنى !! تلك الجملة التى ما زلت اتهكم بها على هذه الفلانة كلما تقابلت معها او كلمتها فى التليفون واقول لها انتى بقى ايه فى الجهاز الفنى الكوتش او الادارى او اخصائى العلاج الطبيعى !!! طبعاً ده بعد ما اتعرفت عليها لانى لازم اتعرف عليها امال انا خارج اعمل ايه يعنى تفتكروا يعنى خارج اشتغل اكيد لا طبعاً يعنى بالذمة ده منظر واحد نازل يشتغل ولو انا نازل اشتغل اكيد مكنش ده بقى حالى !! وبعد خروج الفنانة لبلبة فوجئت بالاستاذ طارق الشناوى يشرح لى سبب تقديمه لمعتز على انه مخرج منفذ وليس مدير انتاج معللاً ذلك باسباب انتاجية وبصراحة قلت وماله مهو معتز برضه مننا وعلينا وبعدين ايه يعنى لما يبقى مخرج منفذ او مخرج حتى هو انا باجيب الاسماء ديه من بيتنا .

واثناء تصوير الاجزاء الخاصة باستاذ طارق كان يسألنا دائماً وخصوصاً المصور الحفناوى عن الالوان المناسبة للاضاءة والتصوير سواء للبدل او الكرافتات او القمصان ولا اذكر سبب اننا ذات مرة اقنعناه بان لنا زميلة تجيد اختيار الالوان ولها ذوق راق فى اختيار الملابس المتناسقة ..

ولان استاذ طارق يثق دائما فى اراء الجنس اللطيف اكثر من ثقته فى معشر الرجال فقد اقتنع بوجهة نظرنا وانتظر الزميلة لتقترح عليه الوان متناسقة ولكن المفاجأة ان الزميلة كانت من هواة تجميع الالوان غير التقليدية او المطرقعة واقترحت عليه على ما اذكر كرافت بنى مع قميص احمر على بدلة كحلى و مفيش

داعى اكمل ما حدث لانه اظن مفهوم اللى حصل بعد كده مع التأكيد مرة اخرى على موضوع احترام الاستاذ طارق لاراء الجنس الناعم !!!

لكن اطرف المواقف التى مرت بنا اثناء تصوير هذا البرنامج كانت حينما نجحت بمساعدة الحفناوى ومعتز فى استفزاز كلاً من اكرم والاستاذ طارق والقينا المزيد من البنزين على نار الاختلاف بينهم فى الرأى حول الايرادات المتوقعة لفيلم اكرم السينمائى الاول " فرخ " حيث اصر اكرم ان الفيلم سوف يتخطى حاجز المليون وصمم استاذ طارق على ان الفيلم يستحيل ان يصل لرقم المليون .

وطبعاً احنا بدأنا لعبتنا بتسخين الموضوع باقناع اكرم بان الفيلم ممكن يعدى المليون من جهة واقناع استاذ طارق بان الفيلم واقع من جهة تانية . ده طبعاً غير شرطنا الاساسى ان الجدل ما ينفعش ولازم الموضوع يسخن بالاتفاق على رهان شديد بحيث ان اللى يخسر يبطل يجادل من تانى عمال على بطال وتم الاتفاق على ان يكون الرهان على عزومة سمك وجمبرى فاخرة لمجموعة العمل فى البرنامج بعد سحب الفيلم من الاسواق .ومع عرض الفيلم ظهرت بوادر خسارة اكرم ولم يحقق الفيلم نجاحاً جماهيرياً كبيراً وبدأت عملية سحبه من الاسواق ووقتها حاول اكرم التهرب من الرهان متعللاً بحجج تافهة لكن على مين ديه عزومة سمك وجمبرى علشان كده سلطنا عليه استاذ طارق حتى اضطر صاغراً لتنفيذ الرهان وتوجهنا جميعاً لواحد من اكبر مطاعم المأكولات البحرية ورغم سعادتنا الا اننى كنت دائماً اتخيل نفسى مكان اكرم واحس بالشفقة عليه .. لاننا طبعاً طول الطريق كنا نستفزه باننا سوف نطلب كل ما نشتهى دون اى رقيب او رادع وكان ينظر الينا متحسراً بدون تعليق . وعندما وصلنا للمكان حاول اكرم استفزازى واستفزاز صديقنا الحفناوى وقال لنا انتوا لسه مخلصين صلاة هو برضه مش الرهان حرام فضحكنا

حتى تمكن الحفناوى من الرد عليه بانه ليس له اى علاقة بالرهان من قريب او بعيد ولم يراهن احد لكنه جاء ليأكل واكيد الاكل مش حرام .. وضحكت بينى وبين نفسى من رد الحفناوى لكنى كنت متأكد من حاجة واحدة ان الضرب فى الميت حرام وكانت اصعب مرحلة بالنسبة لى هى مرحلة الاختيار من القائمة فقد كان يسيطر عليا مزيج من شعورين متناقضين الرغبة فى استفزاز اكرم اكثر بطلبات مغالى فيها والشفقة عليه من المصير المجهول . ويبدو ان الحيرة انتقلت الى الجميع فظللنا فترة طويلة لا نستطيع تحديد طلباتنا وقرر الجميع اسناد تلك المهمة العسيرة الى استاذ طارق بحيث انه يختار واحنا نختار زيه .

ولان استاذ طارق واضح انه متعود على تلك النوعية من الرهانات فقد اكد انه يعرف طريقه جيداً وان افضل شئ هو البدء بشوربة السى فود المخلية لانها تكون سهلة فى التناول ونظرنا جميعاً الى القائمة فوجدنا انها اغلى انواع الشوربة وان الفارق بينها وبين اللى مش مخلية يقترب من العشرة جنيهات فهتفنا جميعاً وسط نظرات اكرم المتحسرة احلى حاجة نبدأ بالشوربة المخلية وشكرنا لاستاذ طارق دقته فى الاختيار . وحينما وجد اكرم ان الامر هكذا احس ان الامور ممكن تفلت من ايده فقرر حسم الموضوع ولم يترك لنا حرية الاختيار بعد ذلك لانه اكتشف ان الديموقراطية ما تنفعش مع اللى زينا وطلب دون ان يسألنا كمية محددة من الجمبرى والكاليمارى والجندوفللى ولم يفتح ثانية مجال الاختيار .

ولكنى لا زلت اذكر محاولاته المستميتة لاقناعنا باضافة كمية كبيرة من السمك المشوى للمائدة كنوع من الزيادة من الحاجات الرخيصة وابو رخيص كتر منه لكن هيهات فقد صممنا على تحويل عزومة السمك والجمبرى المتفق عليها الى عزومة جمبرى فقط ومعاه شوربة سى فود مخلية وديه الاهم طبعاً !!

المهم اليوم مر على خير وكل واحد فينا احترم نفسه ورضى بشوربة الـسى فود وشوية الجمبرى والكاليمارى وما فتحناش على الرابع .. لكنى صممت بعـدها على استفزاز اكرم كلما رأيته مذكراً اياه بانه مش كفاية تمن العزومة وبـس لكـن كمان بسبب قلة ذوقنا دفع ٨٠ جنيه فرق بين الشوربة المخلية وغير المخلية واقول له مستنكراً يعنى هى كان مالها الشوربة اللى مش مخلية مهى حلوة برضه يعنـى انت تدفع الفلوس ديه علشان احنا نرتاح وما نخليش الشوربة واحنـا بناكـل .. ده احنا صحيح ناس معندهاش دم !!

****

انا والموبايل ومجاهد

تتميز علاقتى بشقيقى الاكبر وسام بانها ذات طبيعة خاصة لانها تحمل مزيجاً من اشياء كثيرة تتداخل فيما بينها لتصنع علاقة من نوع فريد وده طبعا ملوش علاقة بزميلنا المراسل الجديد وليد فريد الذى لم اتوقف لحظة منذ وطأت قدمه ارض مدينة الانتاج الاعلامى عن دعمه لدرجة انه كنوع من نكران الجميل يصرخ دائماً مستغيثاً طالباً منى ان اتوقف عن دعمه لان واضح ان دعمى ليه كان زيادة شويتين مما جعله يطالب دائماً بان ارفع عنه الدعم وانا بصراحة مش عارف موظفين ايه دول اللى مش عايزين دعم ده زمان الموظف من دول كان بترد فى وشه الدموية لما يسمع كلمة دعم ولو بالغلط حتى لو كان دعم معنوى . وبعدين ازاى يعنى ابطل ادعم الموظفين البسطاء الجدد امال يعنى اسيبهم كده من غير دعم ده حتى الموظف من غير دعم بيبقى شكله اى كلام وبعدين ايه يعنى لما سى وليد يقعد شهر ولا اتنين ما يتعينش هما يعنى اللى اتعينوا كانوا عملوا ايه صحيح موظفين اخر زمن !!

المهم نسيبنا من موضوع الدعم لحسن انا ضغط الدعم عندى زاد ونرجع للموضوع الاساسى وهو علاقتى بشقيقى وسام والتى تحولت مع سفر وسام الى الخليج مع بداية الالفية الى علاقة تبادلية ومش عايزين حسد من اولها والا وحياة وليد فريد ما انا شايل اى نوع من الدعم امال يعنى انا بادعم الناس ليه مهو علشان الحسد اللى جيبنا ورا ده !!

والعلاقة التبادلية يا اخوانى هى العلاقة التى تسير فى اتجاهين وده فعلاً هو طبيعة العلاقة بيننا منذ ما يقرب من ست سنوات فمن جهتى حرصت على الاستنزاف المتصل والدائم والفاضح له طوال تلك الفترة على اعتبار اننى شقيقه الوحيد ولو ما

طلبتش امال يعنى مين اللى يطلب لدرجة ان معظم الاشياء التى طلبتها لم اسـتعمل معظمها او حتى افتحها بل لم اكن احتاج اليها من الاساس لكن نقول ايه ؟؟ نوع من الاستغلال .. بينما حرص هو من جانبه على القهر الدائم والمتواصـل والـسخيف واضبحت العلاقة بيننا اشبه بالمعونات التى ترسلها الدول الكبرى للـدول الـصغرى والتى لا تستفيد منها الدول الصغرى لاصرار الدول الكبرى على استخدامها فى اوجه نشاط محددة والى حضراتكم امثلة من القهر الذى تمارسه الدول الكبـرى قـصدى شقيقى الاكبر : حينما اطلب منه كريم شعر يرسل لى كريم بشرة وعندما اطلب كريم بشرة يجلب لى كريم حلاقة ولما اطلب الثلاثة معاً علشان اريح دماغى يبعت كـريم احذية . وحينما اطلب حذاء رياضى اسود حتى يتلائم مع طبيعة البيئة المتربة فـى مصر من ناحية ومع طبيعة عملى فى التصوير الخارجى من ناحية اخر يصمم على ارسال حذاء ناصع البياض .

وحينما اطلب شنطة ملابس يجلب لى حقيبة اوراق فاخرة وحينما اطلب شنطة سفر صغيرة يأتى لى بشنطة سفر كبيرة وعندما اطلب شنطة سفر كبيرة يجلب لى حقيبة اقلام وهكذا .. ولما اتخبط فى دماغى واطلب نوع معين من العطـور مـن ماركـة شهيرة يأتى لى بماركة مغايرة تماماً ربما تكون افضل ولكن مش هى اللى طلبتهـا لدرجة انه ذات مرة احضر لى زجاجة عطر نسائى وحاول اقناعى مراراً بانها واحدة من افخر العطور الرجالى .. لكن الحكايات الاغرب دائماً هى ما يتعلق بالموبـايلات لان وسام يصر على ان يأتى بالموبايل غير المناسب فى الوقت غير المناسب ايـضاً ولا زلت اذكر عندما ارسل لى موبايل نوكيا ذو النغمات البولى فونيك ولم يكـن قـد انتشر فى مصر بعد و ما ادراك كمية الاستفزاز التى سببتها تلك النغمات المتعـددة للكثير من الاصدقاء والزملاء لان الموبايلات ايامها كانت كلها واحد فونيك .

ورغم تلك الريادة الا ان وسام صمم على تجاهل طلباتى المستمرة له بعد ذلك بتحديث ذلك الموبايل بعد ان ظهرت الموبايلات اللى بكاميرا وطبعاً لانى باموت فـى المظاهر فقد ناشدته انه يلحقنى بسرعة بواحد منهم لكنه تجاهل طلباتى عن سـبق اصرار وترصد وقتل كل احلامى وحينما هددته بانى سوف اشترى موبايل بكـاميرا من مصر (كده وكده طبعاً يعنى يبقى اخويا بره وانا اجيب موبايل من هنا امال احنا بنبعت اخواتنا بره ليه يعنى ؟؟) ويبدو ان تهديدى جاب نتيجة فقد طلب منى تحديد موديل الموبايل المنشود وطبعاً انا ما كدبتش خبر وسـألت علـى احـدث واغلـى موديلات فى السوق ودخلت على النت علشان اعرف كام موديل من اللى لـسه مـا نزلوش مصر وارسلت كل ارقام الموديلات ديه فى رسالة لافاجئ برده بـان بعـض الموبايلات ديه لسه ما نزلتش وطبعاً البعض التانى ارف ارف وانه حيجيبلى موبايل تانى على ذوقه ..واستنيت الموبايل ده كتير ومفيش فايدة خاصة لما سـألته عنـه فاجابنى بانه بيرقده ليا فحاولت ان اناشده ان يرفع يده عن موضوع الموبايل خالص ويسيب ليا الفرصة انى اتصرف سواء بشراؤه من مصر وامرى لله او طلبه من اى من المعارف والاقارب الاخرين فى الخليج . لا سيما بعد ان تحول الامر الى مأسـاة لان ببساطة فجأة كل الشعب المصرى بقى معاه موبايل بكاميرا واحسست انى الوحيد الباقى من العصر الحجرى وطبعاً واحد شاطر ممكن يقولى كفاية عليك البولى فونيك وطبعاً ده بنى ادم عيب ارد عليه لان بولى فونيك ايه فى عصر النغمات الحقيقة يـا جاهل !!وطبعاً رفض وسام كل محاولاتى بشهامته المعهودة وصمم انه يجيـب ليـا موبايل احدث صيحة من المانيا التى سافر اليها لعمل رسالة الماجستير فى الهندسة الطبية واعتبر المسألة مسألة كرامة ولم تفلح كل محاولاتى لاستجداءه بـان يرفـع موضوع الموبايل من دماغه حتى عندما لوحت له بامكانية ان ارفع دعمى عن وليد

فريد فى حالة رفع فكرة الموبايل الجديد من دماغه !!

وجاء الفرج حينما ارسل لى يطلب منى للمرة الثانية ارقام موديلات الموبايلات الحديثة متهماً اياى بانى متقاعس وانى مش نافع فى حاجة واضطررت ان اكتم مشاعرى فى قلبى وارسلت له موديلات الموبايلات للمرة الثانية والتى كانت لسوء حظى كلها نوكيا لانه الاكثر انتشاراً فى مصر بل والمنطقة العربية كلها ..

فكان الرد نوكيا ايه ده النوكيا مش منتشر فى المانيا اصلاً وطبعاً النوكيا ده ارف .. ارف لان كل الشعب الالمانى يفضل الموبايلات السيمنز وارسل لى موديل احدث الموبايلات السيمنز الحائز على جائزة افضل موبايل فى العالم عام ٢٠٠٤ طالباً منى ان اسأل عنه فى مصر او ارى امكانياته على الانترنت .

وبدأت رحلة البحث عن هذا الموبايل المجهول وفوجئت بان مفيش حد سمع عنه وان كل المعلومات حوله يحيط بها الغموض والسرية وارسلت اليه راجياً ان يرسل لى موبايل معروف ويرحمنى وكان رده المعتاد بان ده موبايل تحفة والناس فى مصر هى اللى ما بتفهمش !! وانه سيشترى الموبايل قبل ان ينزل مصر مباشرة وطوال تلك الفترة حاولت اقناع نفسى بذلك الموبايل العجيب وقلت لنفسى مهو صحيح برضه لما يبقى اخويا فى المانيا لازم امسك موبايل سيمنز امال امسك ايه يعنى ؟؟ وانا طبعاً قصدى على الموبايل مش اى حاجة تانية علشان اكون واضح من البداية ومفيش قارئ كده ولا كده يفهمنى غلط لان القراء اليومين دول بقت لهم ميول غريبة !! وحاولت اقنع نفسى بان اهم حاجة انه فيه كاميرا وباقى الحاجات تدبر وانتظرت وصول وسام بفارغ الصبر واكيد طبعاً اكتر من كل مرة ولم انس ان اصدر بعض التلميحات للمقربين بان الموبايل المعجزة على وشك الوصول واننى سوف ادخل عالم تكنولوجيا الاتصالات من اوسع ابوابه .

ولا يمكن ان انسى ابداً لحظة اتصاله التليفونى بى لاخبارى عن ميعاد وصوله حينما سألته بالصدفة عن الموبايل العبقرى فاكد لى انه لم يجد اى جهاز من هذه النوعية حتى عندما ترك المنطقة الريفية التى ينزل بها وتوجه الى مدينة كولون وبصراحة ما دخلتش عليا الحركة القرعة ديه يعنى المانيا مفيهش موبايلات سيمنز امال يعنى حتكون فين فى فنلنده ولا السويد .

وبصراحة اكتر مسكت نفسى فى اخر لحظة قبل ما اقول له طالما مفيش موبايل يبقى انت نازل تعمل ايه .. مقلداً احد الاطفال من اقاربى حينما اتصل به بعض الاصدقاء يعتذرون عن المجئ يوم عيد ميلاده فرد بمنتهى البراءة والتلقائية خلاص هاتوا الهدية وما تيجوش !!

وقررت بينى وبين نفسى انى مش حافتح موضوع الموبايلات ده تانى لحد ما اشوف الموضوع ده حيخلص على ايه ولكنه حاول ترضيتى بان اكد لى انه سيجلب لى الموبايل السيمنز فور وصوله الى المانيا ويرسله لى مع احد الاصدقاء وكلها وقت بسيط ويكون عندى قلت ماشى خليك ورا الكداب لباب المطار .

وانتظرت فترة لانى طبعاً بافهم فى الاتيكيت اوى واستغليت مكالمة بيننا وسألته سؤال عابر عن الموبايل المزعوم وايه اخباره ففاجأنى بان السيمنز خلاص راحت عليه والشعب الالمانى كله دلوقتى بيقول فيفا سامسونج .. فيفا سامسونج واكد لى انه سوف يجلب لى موبايل عجب مش باقولكم عاوز يقهرنى ..

ولكنه افلح وصدق المرة ديه وارسل لى موبايل عجب فعلاً بدليل انى قعدت طول الليل احاول افك شفرة تشغيله خاصة انه ارسل معه الكاتالوج الالمانى علشان يسهل ليا عملية التشغيل ..... لدرجة انى لما رحت التوكيل فشل المهندس فى الاجابة علي تساؤلاتى لان الجهاز العجب مكانش لسه نزل مصر !!!! واضطريت

ادخل على النت للمرة الالف علشان انزل كاتالوج انجليزى علشان اعرف افهم اى حاجة ...

لكن كله ده يهون امام حكاية وصول الموبايل لحد عندى لان وسام يصر دائماً على ان يرسل لى الاشياء مع اشخاص في منتهى الغرابة ويسكنون فى مناطق اكثر غرابة وفوجئت به يخبرنى هذه المرة انه ارسل لى الموبايل وطبعاً حمدت ربنا وبوست ايدى وش وضهر لكن لا ادرى لماذا اتخنقت الفرحة داخلى وقلبى اتقبض لما كمل وقال لى انه ارسل الموبايل مع واحد صاحبه اسمه مجاهد .. يعنى هو فيه حد برضه اسمه مجاهد يجيب لى موبايل سامسونج وهو اصلاً مجاهد ده راح المانيا ينيل ايه . لكن حاولت اصبر نفسى وقلت مش مشكلة مجاهد .. مجاهد يعنى انا كنت حاناسبه المهم يوصلنى الموبايل العجب وخلاص .

ولكن قلبى زاد انقباضاً حينما لم يرد هذا المجاهد على الموبايل ولم استطع الوصول له وساعتها بدأت اشك انها واحدة من حركات وسام وارسلت اتأكد منه من نمرة المدعو مجاهد ربما تكون وصلتنى غلط .

وفضلت ورا السيد مجاهد لحد ما رد على الموبايل ويا ريته ما رد لانى بادرته بسؤال من اسئلتى الساذجة لانى مش باتعلم من اخطائى ويبدو انى كنت نسيت طبيعة وسام وقلت للاستاذ مجاهد حضرتك ساكن فين ؟؟ فرد عليا بمنتهى البساطة قريب مش بعيد فى ابو زعبل وحتى لحظة كتابة هذه السطور انا بجد مش عارف فين ابو زعبل ده ولا اعرف على وجه اليقين اين ولد المغفور له زعبل هذا لدرجة انى لا اعرف هو جنب ايه اساساً ولكنى فوجئت بمجاهد ربنا يكرمه يؤكد لى انها بعد حلوان على ما اذكر واننى بعد ان انهى خط المترو يجب ان اركب سيارة اخرى حتى اصل الى زعبل وهناك ممكن اسأل فين ابوه او امه ..



وافراطاً فى السذاجة وجدت نفسى اقول له سيبك من عيلة زعبل وخلينا فى مكان شغلك على اعتبار انى مش رايح اتغدى عنده لا سمح الله والعملية كلها موبايل والسلام مش عربية يعنى فرد عليا مجاهد وهو بيتسم ويقول ده بقى ابسط بكتير . ولاول مرة احس بالراحة منذ بداية المكالمة وسألته مندفعاً فين قال لى جنب انشاص فى الشرقية ومن ابو زعبل لانشاص يا قلبى لا تحزن ..

المهم حاولت اتماسك وسألت اخونا مجاهد هو حضرتك ما بتنزلش اى مكان تانى فرد وهو مبتسم طبعاً لأ لانى نازل اجازة وعاوز اقضيها مع اهلى خاصة ان احنا فى شهر رمضان وقبل ان اغلق المكالمة الحزينة فاجأنى صديقنا مجاهد بانه احياناً بينزل جامعة عين شمس فى النهار بس ما بيقعدش كتير قلت الحمد لله جامعة عين شمس ارحم من ابو زعبل وانشاص .

رغم انها حتكون فى عز الضهر فى رمضان بس كله يهون طالما الموبايل عجب واتفقت مع ابننا مجاهد على انى احاول بكل الطرق أنى اصطاده فى جامعة عين شمس قبل ما يرجع على ابو زعبل او يطلع على الشغل فى انشاص . الى ان فوجئت بعدها بان حبيبنا مجاهد يتصل بى ليخبرنى ان هناك حل يرضى جميع الاطراف حقناً للدماء وتجنباً لويلات الحروب وهو ان ابن خالته رايح يفطر يوم عند حماته وبالمصادفة حماته ساكنة قريب منى وساعتها تنهدت ووافقت على هذا الحل العبقرى واخيراً استلمت الموبايل وبدأت رحلة العذاب فى تشغيله او توفير الاكسسورات له .

وبلاش اعلق على اى حاجة علشان انا مش عاوز اخسر اخويا لانى بصراحة سمعت عن موبايل جديد فيه مميزات حكاية وبافكر اطلب منه انه يشتريه ليا بس بلاش مجاهد فى عرض دين النبى !!

حدوتة كتاب

لانى باحب دايماً الصراحة وبكره اللف والدوران ومؤمن دايماً ان اقصر طريق بين نقطتين هو الطريق المستقيم ولانى فى احيان كثيرة باحترم مبادئى فى حياتى العامة كان لازم اكون اكثر حرصاً على تلك المبادئ فى التعامل معك عزيزى القارئ حتى يستمر التعامل على نفس درجة الاحترام على الاقل لحد ما تخلص الكتاب وبعدين براحتك وانت وذوقك ..

ومفهوم طبعاً ان الاحترام ده ماشى فى اتجاه واحد منى لسعادتك لان باقى الاتجاهات كلها مسدودة طبعاً لانى اكيد ما باحترمش نفسى لان مفيش حد بيحترم نفسه يكتب كلام فارغ كده وواضح جداً ان مفيش اى احترام من سيادتك ليا لانك لو بتحترمنى واحد فى المليون كنت منعتنى اعمل فى نفسى وفيك وفى الانسانية كلها الجريمة الصعبة ديه .

ونتيجة لكل هذا الحرص و جميع هذه الانماط من الاحترامات احب اوضحلك من البداية انى من النوع اللى ما بيصدق يمسك فى حاجة وبابقى عامل زى صاحبنا اياه لما يمسك عضمة وتاريخى المرضى بيثبت سيطرة الحالة ديه عليا لان اى فكرة او حتى كلمة بتعجبنى تلاقينى على طول حولت الموضوع او الفكرة التافهة او الكلمة الساذجة الى ملحمة اغريقية من النوع الطويل وممكن اقدملك نموذج بسيطة للمعرفة وليس الحصر. انا مرة زمان وانا فى بداية حياتى الاعلامية كنت صحفى صغير(قال يعنى انا بقيت دلوقتى صحفى كبير .. ما علينا) فوجئت فى يوم وليلة بصديق لى يطلب منى اعداد صفحتين سينما ستاندرد لاحد الجرائد المستقلة وقبل ان تتهمنى بانى باحب استعرض عضلاتى واستخدم مصطلحات فخيمة وباحاول ادعى انى مثقف حاقول لحضرتك على طول الاستاندرد ده هو الجورنال العادى زى الاهرام

والاخبار وكده يعنى اما الجورنال المستقل ده فهو فى الاغلب الاعم عزبة صحفية يديرها مالك ويوجد فيها مستأجرين وفلاحين وطبعاً الاهم ناظر العزبة قصدى رئيس التحرير . المهم طلب صديقى منى اعداد الصفحتين بمفردى معتمداً على نفسى وعلاقاتى وغيرها من كلمات الاطراء التى نسمعها دائماً من الاشخاص الذين يحتاجون منا اى شئ من نوعية انت بابا وانت ماما وانت انور وجدى حتى نفعل لهم ما يريدون . ولم ينس ان يختم مكالمته التليفونية بالتأكيد على انهم فى ازمة وانهم فى محنة لكى يحرك دوافع النجدة والشهامة والنخوة (اذا كانت موجودة) بعد ان نجح فى البداية فى تحريك دوافع الفخر والنرجسية والانانية وهذا ما يؤكد المقولة الدارجة ان طلب الشئ حرفة وما اكثر من يجيد تلك الحرفة فى الوقت الحالى . بينما لم انس لانى صحفى فاهم حقوقه وواجباته (وارجوك ما تفهمنيش غلط) ان اسأل على موعد التسليم وطبعاً انا عارف دماغك راحت فين واحب اطمنك ان اى صحفى يسأل عن الاجر ده صحفى فاشل وجاهل وما اشتغلش صحافة فى مصر قبل كده . وكانت المفاجأة طبعاً مش فى الاجر لاننا متعودين على كده لكن كانت فى ميعاد التسليم لانى صدمت حين عرفت ان ميعاد التسليم تانى يوم مباشرة دون اى تأخير لان الجورنال خلصان ومش ناقص غير صفحتين الفن وحتى تتضح الامور اكثر يجب ان احدد زمن المكالمة بانها كانت فى العاشرة مساء اى ان الوقت المتاح اقل من ٢٤ ساعة ولانى اعشق التحديات الصعبة فقد قررت القبول دون تردد وسارعت بشحذ كل طاقاتى الكامنة واستنفار كل القدرات المدفونة واخرجت اجندة التليفونات وسارعت بفتح الفريزر الصحفى لاستخراج بعض الموضوعات المجمدة حتى يكون طهيها الصحفى سريعاً وما تتأخرش فى النضج وكانت عبارة عن موضوعات عملتها فى مناسبات مختلفة ولجرايد ومجلات تانية بعضها نشر والاغلبية لم تنشر !!

وكنت محتفظ بيها لوقت الزنقة واظن مفيش زنقة اكتر من كده ومش عــاوز قارئ لطيف ظريف يقول طب وفين الامانة الـصحفية وميثــاق الـشرف الـصحفى والحاجات اللى ما تأكلش عيش ديه ولو القارئ المحترم ده زود فى احترامه وصمم يعيد نفس الكلام ده تانى بصراحة ان باقولكم وباشهدكم انى مــش حــاعبره لانــه حيكون ساعتها معندوش دم لانى عمال بقالى صفحة كاملة باقول انه وقــت زنقــة وانى كنت مضغوط فى الوقت والزنقة يا سادة زى الحرب كل شئ فيها مباح المهــم ان الواحد يخلص ويخرج منها ولا انتوا شايفين ايه ؟؟!!

وطبعاً كان مهماً ان استرجع ايام المــذاكرة الخــوالى فــى الثانويــة العامــة والجامعة والماجستير وما تستلزمه من استعدادات للسهر من قبيل الشاى والنسكافيه وغيرها من مستلزمات الاستمرار سهران لحد ما يخلص الشغل . والحمد لله سارت الامور على ما يرام ونجحت فى الانتهاء من الحوارات الرئيسية ومجموعة الاخبــار علاوة على نجاحى بمعجزة فى توفير صور لموضوعاتى اعتمدت فيها علــى البــوم صور كنت احتفظ به للذكرى وليس للمهنة لانى نسيت اقول لحـضراتكم انــى فــى الفترة ديه كنت طلقت الصحافة بالتلاتة واتجــوزت عليهــا التليفزيــون .. وبعــدها السينما (وبعد كده طبعاً طلقتهم الاتنين بالتلاتة اصل انا ما بيعش ليا شــغلانة والله يخرب بيت الملل الزوجى قصدى الوظيفى لكن الحمد لله كنت جبت من السينما حتــة فيلم تسجيلى صغير عقبال عندكم ويتربى فى عزكم انتم طبعاً لانى ما عنديش وقــت ولا فلوس اربيه والحمد لله اكتر انى ما جبتش من التليفزيون عيال لان التليفزيــون المصرى كان حريص على تنظيم الاسرة لان التليفزيون اصل حملات تنظيم الاســرة من ايام حسنين ومحمدين وعلشان كده كان بيتناول حبوب منع التعيين بانتظام وانا بصراحة كنت عاوز اخلف قصدى اتعين) .

وبعد كل المجهود الخرافى ده (طبعا خرافى مش انا اللى عملته) توقفت امام مشكلة فى غاية الخطورة هانت امامها كل المشاكل السابقة رغم انهـا كانـت فـى منتهى التفاهة لكن واضح انى زى ما قلت لحضزاتم باجى فى الهايفة واتصدر .

المشكلة باختصار ان صاحبى اياه وفى محاولاته المـستميتة لـشحذ همتـى وتشجيعى على انجاز العمل فى الوقت المطلوب وبالكيفية الملائمة نجح فى الـضغط على من خلال نقطة ضعفى وربما نقطة ضعف اى صحفى مما افقدنى اى قدرة على الرفض او المقاومة لانه طلب منى بالاضافة الى الصفحتين ان اكتب عموداً صـحفياً بالاسم الذى اختاره وعلاوة على ذلك وهذا هو الاهم ينشر مع هذا العمـود صـورة شخصية حديثة لى وما ادراكم ما قيمة نشر صورة شخصية لصحفى ناشـئ يعنـى طاقة القدر اتفتحت له ..

وبينى وبينكم موضوع الصورة ده نسانى كل حاجة وما بقتش افكر غير فـى صورتى وهى منشورة فى الجورنال واصحابى خصوصاً البنات يشوفوها مش قـادر اوصفلكم مشاعر السعادة اللى سيطرت عليا ونسيت قدامها كل حاجة تانيـة . لانـى لحد لهذه اللحظة ومنذ دخلت كلية الاعلام كانت كل احلامى تنحصر ان تنشر صورة لى (أى صورة والسلام) فى احد الجرائد او المجلات ولا زلت اذكر تهكم اقـاربى واصدقائى على حينما كانوا يؤكدون اننى لا يمكن ان تنشر اى صورة لـى فـى اى جورنال الا فى صفحة الحوادث .

ولما راحت السكرة وجاءت الفكرة افتكرت ان المهم فى العمـود ده حاجـات تانية اهم بكتير من الصورة وكيفية اختيارها . والحاجات ديه ابسطها اختيار عنوان جيد للعمود واعقدها اصطياد فكرة قوية وعرضها باسلوب موجز ودقيق وده الفـرق بين العمود الصحفى واى مقال اخر لانه يعرض الفكرة بدقة وايجاز .

ولان الجواب بيبان من عنوانه كان لازم اختار عنوان جذاب يلفت نظر القارئ وقعدت افكر مراراً وتكراراً لعلى اجد ذلك العنوان التائه ولم اعثر عليــه . الــى ان فوجئت بنفسى اقول وجدتها .. وجدتها .. وعملت انى اكتشفت الجاذبيــة الارضــية وقلت العنوان حيكون حدوتة سينمائية ولا ادرى حتى الان لماذا اخترت هذا الاسم او ما هى المبررات المنطقية التى بنيت عليها هذا الاختيار اللهم الا انى عشت فى دور يوسف شاهين واقتبست اسم فيلمه حدوتة مصرية . وطبعا لانى صريح ومش ناوى اخبى عن نيافتك اى حاجة العمود لم يكن حدوتة وبالطبع لم تكن سينمائية وبــلاش نقلب فى المواجع .

والاهم انى احب اطمن حضراتكم على الشغل والتعب والمجهود وسهر الليالى وان كان سهر ليلة واحدة بس سيبونى ابالغ شوية لان المفاجأة بعد كده كانت قاســية . فقد توجهت الى مقر الجريدة حامل الاوراق الدشت المكتوب عليها كافة الموضوعات والاخبار والاهم طبعاً العمود .

والورق الدشت لمن لا يعرفه هو واحد من اسوء انواع الورق لونــه اصــفر طبيعى من غير ما يمر عليه زمن ولا حاجة يستخدمه السادة الصحفيون فى الكتابة بدلاً من الورق الابيض تحت بند التوفير من ناحية ولاثبات اختلافهم عن باقى الخلق من ناحية اخرى. المهم اخذت كل حاجة بما فيها الصور الموضوعية وطبعاً مكنتش اقدر انسى اهم حاجة صورتى الشخصية التى حرصت على ان تكون صورة واضحة وجيدة لزوم المعجبات وعندما وصلت الجريدة وجدت صديقى يقابلنى بترحاب شــديد كاننى فتحت عكا ويدعونى لانتظار صاحب الدكان قصدى الجريدة . وصاحب الــدكان هذه المرة كان شاب صايع لا شغلة ولا مشغلة وعرفت بعد كده انه بياخد فلوس من اخواته فى الخليج وبيعمل بيها الجرايد ديه ويقول على نفسه رجل اعمال .

المهم فضلت فى انتظار سعادته فترة حتى وصل ونظر الى من فوق لتحت ودخل مكتبه وتصورت انه سوف يطلبنى للاجتماع لتقييم الصفحتين والاتفاق على الامور المالية الا اننى فوجئت انه طلب الموضوعات ولم يطلبنى شخصياً لانه واضح كان ينتظر محررة وليس محرر لكن صديقى سامحه الله خذله .

المهم انتظرت نتيجة هذه المهزلة ففوجئت بصديقى يخرج لى مؤكداً ان هذا الجاهل لم يعجبه الموضوعات وكان يتمنى موضوعات ساخنة من التى تملأ تلك النوعية من الصحف ولا يريد موضوعات جيدة ولكن يزيد موضوعات مثيرة وصور اكثر اثارة ولأن ديه مش سكتى .. فقد انتظرت لاعرف القرار النهائى فى الموضوعات التى قدمتها كما هى دون تغيير وليست الموضوعات التى يحلم بها هذا التافه وبعد شد وجذب دون ان اراه اقنعه صديقى بان الوقت لا يسمح بهذه السخافات وان الجورنال يجب ان يسلم فى وقته واخيراً اقتنع البيه بان الموضوعات هذه المرة تنزل كما هى على ان اراعى التعليمات فى المرات القادمة طبعاً اذا كان فيه مرات قادمة !! وطبعاً فى كل الموضوع ده انا مكنش يهمنى لا صحافة ولا فلوس ولا اى كلام فارغ من ده وانتوا اكيد عارفين ايه اللى كان يهمنى ؟؟!! اكيد الصورة والاهم من الصورة المعجبات .. وخرجت من الجريدة فى انتظار نشر الصفحتين وتوزيع الجورنال ثم فى النهاية الحصول على المقابل المالى وعرفت من صديقى ميعاد وجود الجورنال فى الاسواق وانتظرت الميعاد فلم اجد الجريدة عند الباعة فاتصلت بصديقى استعلم منه عن السبب فكانت المفاجأة الكبرى ان الجورنال تأجل نشره لاجل غير مسمى عارفين ليه ؟؟!!!!! لان صاحب الدكان شال ناظر العزبة لانه لم يحقق له طموحه باصدار جريدة ساخنة واستبدله باخر ربما يكون عنده القدرة على وضع الموضوعات فى الفرن مدة اطول حتى تصبح ساخنة بنار الفرن .

متهيألى دلوقتى عرفتوا انا سبت الصحافة ليه اكيد مش حزناً على رئيس التحرير الغلبان لانى بعد فترة طويلة سألت صديقى اللى كان السبب فى البلاوى ديه كلها ايه اخبار الجورنال الزفت ده فرذ عليا وقال ان صاحب الدكان اتخانق مع رئيس التحرير الجديد واضطر يرجع رئيس التحرير القديم تانى شوفتوا بالذمة كده .. يعنى فيه كده برضه !! ولله الامر من قبل ومن بعد !!

ومنذ تلك اللحظة وانا حياتى كلها حواديت فى حواديت وعندما شرعت فى عمل كتاب عن بطولة الامم الافريقية التى اعشقها واحرص على متابعة مبارياتها منذ بطولة كوت دى فوار عام ١٩٨٤ منذ بدأت ادراك واستيعاب بطولات كرة القدم . كان منطقياً ان يكون اسم الكتاب اى حاجة افريقية والسلام وطبعاً مفيش احسن من كلمة حدوتة وعلى كده بقى عنوان الكتاب حدوتة افريقية وبعد كده بقيت لما اشوف اى حد واحب احكيله حاجة اقول عندى ليك حدوتة تتجنن . وعلشان كده كان مهم اوى انى لما احب احكى قصة هذا الكتاب اختار عنوان للموضوع يكون حدوتة كتاب. واحد ذكى شوية من القراء يسألنى ويقولى يا كابتن وليد كل ده عن الحدوتة امال بقى ما اتكلمتش ليه عن الكتاب وانا بصراحة احب اللى يسألنى واحب اكتر القارئ الذكى وارد عليه واقول احنا فسرنا الحدوتة الاول وبعدين بقى ربنا يسهل ويدينى الصحة ويديكم الصبر ويقدرنا ونعرف نحكى موضوع الكتاب . بص يا سيدى الكتاب بقى ده حدوته جدوتة لانى بصراحة ومفيش احسن من الصراحة والصراحة راحة وكل الكلام الاهبل ده اللى انا قلته فى الاول . لما نشرت الكتاب الاول حدوتة افريقية فى اثناء البطولة الافريقية لكرة القدم فى مالى ٢٠٠٢ عجبتنى اوى حكاية نشر الكتب لان زى ما شرحت ما باصدق امسك فى اى حاجة والسلام وحسيت وقتها ان الهام الكتب نزل عليا ولاقيت قدامى فجأة مشروع اربع او خمس كتب اللى

تاريخى واللى عام واللى ساخر وطبعاً لان الرياضة كانت لسه مسيطرة عليا فكـرت فى عز الموضوع انى انشر كتاب تانى فى الرياضة وكان المرة ديه عن كأس العالم ونشرت كتاب الفرسان العرب فى المونديال اللى بيركز على المشاركات العربية فـى كأس العالم وبدأت فى مشروعات الكتب الباقية بالتوازى مع اصدار كتاب الفرسـان وكانت الامور ماشية تمام والوحى والالهام اخر انسجام ..

وطبعاً قلت للناشر صديقى (" وائل حـسان " اللـى نـشر الكتـابين) عـن مشروعاتى فى النشر واثراء المكتبة العربية بمجموعة من التحف الثقافية والفنية . ففوجئت بالناشر الصديق يطلب منى التريث والهدوء قليلاً ولانى دائمـاً ارفـض ان يطلب منى احد الهدوء فاستفسرت منه عن السبب مـستنكراً !! فـاخبرنى بمنتهـى الهدوء انه تسويقياً علينا ان ندرس الحالة التوزيعية للكتابين اولاً ثـم نفكـر فـى استكمال اصدار الكتب العظيمة التى احلم بها او استبدال ذلك بالتوقف نهائيـاً عـن اصدار الكتب ونشوف لى انا وهو شغلانة تانية رحمة بفلوسنا ومجهودنـا وشـفقة على وقت الموزعين والاهم القراء .

ولانى اهلى علمونى اعند ضد المنطق بس ما يبقاش منطق واضح وسليم اوى كده ولان الحالة التسويقية للكتابين كانت واضحة حبتين اضطريت اعمل نفسى مقتنع بوجهة نظره وقلت ديه فرصة لالتقاط الانفاس ولو انى ما ليش فى موضوع الانفاس ده . وتوقفت والدموع فى عيونى بعد ان كنت شبه منتهى من مشروع هذا الكتـاب الساخر وكمان كنت اخترت العنوان وهو الكتابة على طريقتى وحددت القطع وشـكل الغلاف وانتهيت من مراجعة وتنقيح الموضوعات يعنى تقريباً كانت كل حاجة منتهية ولا يتبقى غير اجراءات الطباعة والنشر وربنا يسامح اللى كان السبب وحرمكم منى وحرمنى منكم حبايبى القراء .

وقلت استنى واشوف حالة الكتابين ايه فى السوق وبعدين اقـــرر وكانـــت معـــدلات توزيع الكتابين قد اتضحت تماماً وعرفت ان القراء حبايبى خـــذلونى وان خـــسارتى المادية من نشر ألكتابين اصبحت وشيكة رغم ان استفادتى المعنوية مـــنْ الكتـــابين كانت ولا زالت لا تقدر بثمن لكن بصراحة ترددت شوية فى نشر الكتاب الثالث وقلت استنى شويتين لحد ما ارتب امورى .

واحتفظت بالنسخة الاساسية للكتاب على الهارد ديسك الخـــاص بـــالكومبيوتر الشخصى فى منزلى وزيادة فى الاطمئنان وخوفاً من مقالب اجهزة الكومبيوتر والتى عانيت منها مرات كثيرة احتفظت بها على سى دى منفصل .

واحتفظت لنفسى بلقب عزيز استخدمه كثيراً حينما يطلب منى اى شخص تقديم اعمالى فارد عليه بالوظائف التى عملت فيها والشهادات التى حصلت عليها واضيف باعتزاز ان لى تجربة فى مجال نشر الكتب بأن لى كتابين تم نشرهم وكتـــاب اخـــر تحت الطبع وحتى الان لا اعرف على وجه الدقة يعنى ايه جملة تحت الطبع ديه بس واضح انها حاجة كبيرة لانى لما كنت باستخدم الجملة ديـــه كنـــت بـــالمح نظـــرات الاحترام والتقدير فى عيون الناس لما باقولها .

ويبدو انى عجبتنى اوى حكاية تحت الطبع ديه وفضلت حريص انى ما اقدمش الكتاب للنشر والا حاخسر هذا اللقب الغالى والميزة الخطيرة بانى املك كتاب تحـــت الطبع يعنى جاستفيد ايه لما انشر الكتاب وساعتها ما يبقاش عنـــدى حاجـــة تحـــت الطبع امال يعنى ابقى مهم ازاى . هذا بالطبع (غير الطبع التانى) غير سبب اهـــم هو انى فى تلك الفترة اندمجت اكثر فى العمل التليفزيونى ونسيت شوية حكاية نشر الكتاب ومعاها طبعاً نسيت حلمى الاكبر بابتلاء المكتبة العربية بمجموعة جديدة من تابلوهاتى الكتابية التى اعرفها جيداً لانى كتبتهم فى لحظة تجلـــى بنفس الاسلـــوب

السريالى للعبقرى يونس او عبد السلام النابلسى . و فى الوقت ده قررت اركز شوية فى القناة الفضائية الى عملت فيها وحاقول اسمها علشان يبقى اعلان وهى قناة اوربت كما يطلق عليها العامة او شبكة اوربت كما نسميها نحن الناس الفاهمة (طبعاً ولا احنا فاهمين ولا حاجة بس اهوه كلام لزوم الاستهلاك الاوربتى) .

وبصراحة يا جماعة تجربة العمل التليفزيونى لها مذاق خاص لا سيما فى القنوات الفضائية تختلف تماماً عن كل تجاربى السابقة فى مجال الاعلام سواء فى الصحافة او السينما او نشر الكتب او حتى فى التليفزيون المصرى . لان العمل فى التليفزيون المصرى يخضع لقواعد ادارية وتنظيمية وروتينية صارمة خلافاً لجو العمل فى الفضائيات الذى يتسم بمميزات خاصة تختلف كثيراً عن اى وظيفة اخرى ولكنها تتفق فيما بينها البعض من حيث السمات العامة كفضائيات بما يجعلك يمكن ان تقول مجتمع الفضائيات . ولان الجو كان جديداً بالنسبة لى فقد استغرقنى وقت طويل لاستكشافه ومعرفته وتقييمه من حيث ايجابياته وسلبياته ولكن الاهم هو رصد تلك الحالة البشرية الصاخبة التى فوجئت بانه ينبغى ان اتعامل معها بتوازن على الاقل فى بداية التجربة حتى تتضح الامور . متمنياً من داخلى ان يكتب لهذه التجربة النجاح والاستقرار وحتى الان لا اعرف سببا محدداً لرغبتى فى انجاح تلك التجربة بالتحديد ربما لانى اردت الحصول على شوط من الراحة والاستقرار والهدوء من حياتى الصاخبة سريعة الايقاع . وكان منهج التوازن فى التعامل مع المحيطين بى مناسباً لبداية الرحلة من ناحية ومناسباً لرغبتى القوية فى اكتشاف النماذج والانماط البشرية من ناحية اخرى ومناسباً لمبدأ الحياد الايجابى الذى احرص على اتباعه فى حياتى بمعنى ان اتعامل مع القضايا والامور بمنتهى الايجابية ولكن من الخارج قدر الامكان حتى استطيع الاحتفاظ بدرجة حيادى من ناحية ثالثة .

واعترف ان اندماجى فى عملى الجديد واستغراقى فى اكتشاف النماذج البشرية الجديدة واسباب اخرى جعلتنى انسى تماماً مشروع الكتاب الساخر الذى كنت احلم بنشره لدرجة انى تذكرته بالصدفة بعد فترة تقترب من العامين واكتشفت ان عندى كتاب فى الثلاجة من سنوات ولان الكتابة الساخرة لها تاريخ صلاحية مثل المأكولات والمشروبات فقد خشيت ان يكون كتابى قد نفذت صلاحيته بنفاذ صلاحية افكاره وموضوعاته وعدم ملائمتها للحالة العامة السائدة . وقبل ان اقتنع بهذا او ذاك قررت ان اعيد قراءة الكتاب مرة اخرى بشكل محايد وكانت الصدمة ان موضوعات الكتاب بعد ان اعدت قراءتها بأمانة وبحياد ظهر لى انها تتوزع على ثلاث حالات الأولى مقالات لا تزال صالحة ولم تتأثر بعنصر الزمن والثانية مقالات لا تزال معظم عناصرها صالحة ولكنها تحتاج الى تنقيح واعادة صياغة والثالثة وهى الاصعب والاكثر مضايقة لى وهى مقالات انتهى عمرها الافتراضى ولم تعد افكارها صالحة للنشر من الاساس وما اقسى ان تكتب شئ ثم تلقى به فى سلة المهملات .المهم انى استجمعت شجاعتى وكنت مصمماً على نشر الكتاب هذه المرة وبدأت الرحلة الطويلة باصعب مراحلها وهى استبعاد المقالات غير الصالحة ثم تعديل تلك التى تحتاج الى بعض التنقيح واخيراً اعادة صياغة الموضوعات الباقية لتصبح ملائمة لروح العصر ولكننى فى النهاية واجهت مشكلة النقص فى عدد الموضوعات الناتج من استبعاد بعض الموضوعات علاوة على حذف بعض الفقرات غير الصالحة من موضوعات اخرى وقررت استكمال الرحلة الصعبة بكتابة مقالات جديدة تواكب المستجدات التى طرأت خلال العامين سواء على المستوى الشخصى او المستوى العام وما اكثرها فى عصر السرعة الذى نعيش فيه.وحاولت ان اشجع نفسى بان الكاتب الساخر الحقيقى لاتتوقف ابداعاته عند مجموعة قليلة من الموضوعات كتبها ثم يبكى متحسراً اذا فقد

بعضاً منها صلاحيته بل يجب ان يكون منبعاً دائماً للمقالات والافكار الجديدة طالما انه لا زال يعيش ويمتلك الحواس الاساسية لان كل ما يدور حولنا هى وقائع واحداث يمكن لأى كاتب ساخر حقيقى ان يخرج منها بموضوعات ساخرة وصور كاريكاتيرية كثيرة .

واقتنعت تماماً بالفكرة وبدأت أرصد مجموعة كبيرة من الاحداث التى مرت بحياتى طوال العامين سواء فى حياتى المهنية فى مجال الفضائيات التليفزيونية او فى حياتى الشخصية او فى المجتمع . وتجمعت لدى العديد من الافكار التى تصلح ان تكون موضوعات جديدة ولكنى بدأت انتخب منها ما يصلح للنشر فى كتاب من حيث ملائمة الفكر والمعايير الادبية والمعايير الاخلاقية .

لان مشكلة الكتابة الساخرة تكمن فى ان الموضوعات التى نتداولها فى احاديثنا العادية يوجد بها ملايين الافكار والموضوعات الكوميدية لكن نسبة قليلة منها فقط يمكن ان تتحول الى لغة مكتوبة لاسباب متنوعة منها معايير فنية لان هناك حكايات كثيرة تكون طريفة عند سماعها ولكنها تفقد الكثير من جاذبيتها عند الكتابة ثم عند القراءة .

وكذلك هناك معايير اللغة لان معظم افيهاتنا الكوميدية تكون بالعامية الدارجة وفى بعض الاحيان يصعب تحويلها الى عامية مخففة تصلح للنشر فى كتاب او صحيفة وان كان هذا العنصر بدأ يتضاءل فى الفترة الاخيرة بظهور بعض الصحف التى تحرص على تبنى واستخدام اللغة الدارجة . ولكن الأهم هو المعايير الاخلاقية التى تمنع نشر بعض الافيهات والنكات والموضوعات الساخرة على صفحات اى مطبوعة والا وقعت تحت بند جريمة انتهاك الاداب العامة . وبدأت اركز على مجموعة من الافكار لكى استطيع كتابتها حريصاً على ان اتلمس نفس الروح السائدة فى المقالات

الاولى حتى لا يشعر قارئ الكتاب بأى غربة بين موضوعات الكتاب . والحمد لله انى كسبت الرهان مع نفسى ونجحت فى ان اؤكد لنفسى قبل اى شخص اخر اننى لا زلت املك نفس القدرة على كتابة مقالات ساخرة مثل المقالات التى كتبتها فى البداية بل لا ابالغ اذا قلت ان بعض منها تفوق على الاولى نتيجة زيادة الخبرة والادراك .

ونجحت ايضا فى اثبات الفرض الذى وضعته فى البداية بانى اى كاتب ساخر يستطيع ان يتفاعل مع الموضوعات الجديدة لان الكتابة الساخرة موجودة طالما الحياة موجودة وان اى نشاط انسانى حتى الانشطة الصعبة والثقيلة يصلح ان يتحول الى موضوع كوميدى بشرط اختيار الزاوية الصحيحة والمعالجة الملائمة .

وفعلاً انتهيت من كتابة مجموعة جديدة من الموضوعات الساخرة تتوائب مع التغيرات سواء العامة او التغيرات الخاصة فى حياتى وواجهتنى مشكلة اخيرة هى مشكلة التبويب اى ببساطة ترتيب موضوعات وفصول الكتاب وكنت امام اختيارين الاول هو تجاهل اعتبار الزمن وخلط المقالات القديمة والجديدة مع بعضها فى ترتيب عشوائى حسب طبيعة الموضوعات او حسب اى خطة اخرى والثانى احترام عنصر الزمن وتقديم مقالات الكتاب بالترتيب الزمنى او تاريخ الكتابة او على الاقل الفصل المكانى بين الموضوعات فى الكتاب وتوضيح ان ذلك جزء اول وذلك جزء ثان وهكذا ولكنى حسمت الاختيار لصالح الاختيار الاول معتمداً على ذكائك وفطنتك عزيزى القارئ فى اكتشاف الفارق الزمنى بين كتابة الموضوعات ويا فطنتك عزيزى القارئ !! ولاننى كنت فى منتهى الحماسة لنشر الكتاب هذه المرة فقد صممت على انجاز كل شئ بسرعة وانتهيت من عمليات اصلاح وترميم المقالات القديمة وكتابة الجديدة واعادة التبويب وكل شئ وتبقت مشكلة النشر والغلاف ولانى كنت مصمماً منذ البداية على فكرة معينة لغلاف الكتاب ومصمماً ايضا على ان يقوم

بتنفيذها صديقى العزيز الفنان الشاب وليد فكرى فقد طلبت منه سرعة الانتهاء من الغلاف ولكن وليد فاجأنى بانه بسلامته عاوز يتجوز !! وبعد لاجراءات اتمام زفافه فاضطررت اسفاً الانتظار انتهائه من شهر العسل حتى يمكن ان يتفرغ لاعداد الغلاف بالشكل الذى احلم به .

وطبعاً ما كانش ينفع ابقى قليل الذوق واطلب منه يؤجل جوازه علشان يعمل لى الغلاف لانى مستنى بقالى سنتين ما جاتش على الكام شهر دول والاهم ان مكانش ينفع يبقى ما عنديش دم واطلب منه يسلى نفسه فى شهر العسل برسم وتصميم الغلاف وديه كانت حتقع تحت بند قلة الادب . مهو برضه الواحد مننا لازم يكون عنده دم واحساس وفى داهية ستين كتاب المهم وليد يجوز وينبسط وان كنت اشك ان فيه بنى ادم لسه ممكن يجوز والاصعب من كده انه ينبسط ولا اقولكم خلينا فى كتابنا وبلاش نتكلم فى السياسة .

وطبعاً مدة انتظار وليد لحد ما البيه يخلص شهر العسل مع صعوبة اختيار دار النشر اللى ممكن تتخبط فى دماغها وتنشر الكتاب ده . كل الاسباب ديه وقفت المشروع للمرة التانية وكل حاجة فشلت الا حاجة واحدة بس انى فضلت محتفظ بلقب انى عندى كتاب تحت الطبع يعنى هو فيه كام كاتب فى بر مصر عنده كتاب تحت الطبع ومين فيهم يعنى يقدر يضرب الرقم القياسى فى ان عنده كتاب تحت الطبع من سنة ٢٠٠٢ .ومن فترة بسيطة وبعد سلسلة من الشد والجذب افتكرت انى عندى مشروع كتاب من فترة وعيب اوى انه يفضل مشروع وقررت اطلعه المرة ديه من السندرة لان مكانش ينفع اسيبه فى التلاجة كل الفترة ديه . ولانى عندى صبر شويتين فقد قررت ابدأ من جديد نفس الرحلة السابقة اللى عملتها المرة اللى فاتت بداية من اعادة القراءة والاستبعاد والتنقيح والصياغة لكل مقالات المرحلة

الاولى والثانية واخيراً كتابة موضوعات جديدة تتلائم مع طبيعة المرحلـة لان اهـم حاجة طبيعة المرحلة وما ينفعش انشر كتاب سنة ٢٠٠٦ تسيطر عليه روح بايتـة من فترات سابقة لأنى باعز القارئ ومش باحب انه يقرا الكتاب غير طازة بطازة .

وكان الاهم ان احل المشكلتين اللى كانوا السبب فى تعطيل نشر الكتـاب فـى المرحلتين الاولى او الثانية وهما دار النشر والغلاف والمشكلة الاولى حسمتها بانى قررت انشر الكتاب على حسابى ومسئوليتى الكاملة عند اى دار نشر والتانية الزمن حلها لان اكيد شهر العسل لوليد باشا مش حيستمر طول الفترة ديه واكيد الاسـتاذ حيرجع يشوف شغله ويخلصنى .

****

كلمة اخيرة

صحيح ان رحلة اعدادى لهذا الكتاب الملحمى رحلة شاقة ومرت بثلاث مراحل اعداد مختلفة بدأت منذ اربع سنوات وتراوحت بين النجاح والفشل واليأس والرجاء. ورغم انى اعترف ان اهم مرحلة فى اى كتاب هى مرحلة المخاض الاولى واختيار الفكرة والعنوان واعداد الموضوعات الاولى لان كل المراحل التالية تكون عبارة عن تكرارات الا اننى وفى حالة هذا الكتاب بالتحديد اعتبر ان اخطر واهم مرحلة كانت هى المرحلة الاخيرة فى اعداده واعادة لملمة اشلائه المبعثرة عبر سنوات واعادة بلورتها وصهرها فى بوتقة واحدة تخرج مواكبة لروح فترة النشر وفى ذات الوقت ملائمة لروح زمن كتابة كل مقالة على حدة حتى لا يحدث نوع من الغش او التدليس على القارئ . والاهم ان تعبر عن افكارى وتوجهاتى خلال مرحلة النشر لان كل منا تتغير افكاره وطموحاته وقناعاته بمرور الزمن بل يتغير اسلوبه وطريقته فى الكتابة وطرق التناول والمعالجة وهى طبيعة الحياة لكن مع الحرص فى ذات الوقت على الاحتفاظ ببراءة الافكار وبكارة الاسلوب لا سيما فى المرحلة الاولى .

ولان المنطق السليم ان نرد الفضل لاصحابه او على الاقل لمن شاركوا فيه كان عليا ان اتوجه بالشكر لمن ساهم فى استمرار رحلة هذا الكتاب الملحمية سواء بالنقد او المديح لان النقد احياناً يكون دافعاً للعمل الحقيقى اكثر من المدح .

واقدم هولاء مراعياً عنصر الزمن ومتلمساً لمراحل اعداد الكتاب المختلفة :

اولاً : اشكر شقيقى وسام اول من قرأ الكتاب فى المرحلة الاولى وضحك لها كثيراً واعجب بها وطالبنى بنشرها تحت اى ظرف واكد انه يتضمن مقالات لطيفة يجب ان تظهر فى شكل مطبوع واطلب منه ان لا يتوقف عن ارسال طلباتى من الخارج لكن اتوسل اليه بلاش اشخاص من عينة مجاهد !!

ثانياً : اشكر صديقى الكاتب الشاب رامى عبد الرازق الذى كان دافعاً لى لاعادة التفكير فى الكتاب اثناء المرحلة الثانية عندما حرص على تشجيعى على نشره لا سيما فى اعقاب نشره لكتابه الاول الذى فشلت فى حفظ اسمه حتى الان ولكنى اذكر على ما اعتقد انه حاجة صعبة كده ومعقربة على ما افتكر تقريباً غيمة صغيرة تعبر اسفل مقصلة انا مش عارف بيجيبوا الاسماء ديه منين !! قال غيمة قال وبعدين مقصلة ايه .. اكيد ده كتاب يودى فى داهية بصراحة كده ده عنوان ملتبس !!!

ثالثاً : اشكر صديقى الفنان الشاب وليد فكرى الذى كان سبباً فى ايقاف نشر الكتاب عند مرحلته الثانية بسبب زواجه ولكنه كان عنصراً مساعداً على اعادة بعث فكرة نشر الكتاب فى المرحلة الثالثة ولعله قد افادنى دون ان اشعر لان نشر الكتاب فى المرحلة الثالثة ساهم كثيرا فى اعادة بلورة الكثير من الامور المتعلقة بالافكار والصياغة وغيرها والأهم يكون عم وليد اتجوز وهيص ..

رابعاً : اشكر صديقى الناشر الشاب وائل حسان على موافقته الفورية على نشر الكتاب وتشجيعه لى رغم اننى كنت اخشى من مجرد فتح الموضوع معه بعد المرتين اللى فاتوا ولكنى اصمم ان اسأله السؤال الهام مين فينا اللى متعوس ومين خايب الرجا ولا انا الاتنين فى بعض !!

خامساً : اشكر صديقى المونتير الشاب برضه طارق ممدوح مهو لازم طبعاً يكونوا اصحابى شباب يعنى حيكونوا خناشير ازاى يعنى ؟؟ واعلن امتنانى له على تدعيمه المستمر ومساندته لى اثناء المرحلة الاخيرة من اعداد الكتاب وادعوه الا يتوقف عن دعمى علشان تعرفوا انى عندى اصل مش زى ناس بتتدعم وتنكر ..

ولكن الاهم من هذا الشكر الخاص هو الشكر المتصل لعائلتى لانى مدين لهم بشكر ممزوج بالاعتذار على احتمالهم لى طوال الفترة السابقة وربما فى الايام القادمة .

وتقبلهم لمحاولاتى المتكررة باستخدام الافيهات المتكررة والنكت البايتة والحكايـات التافهة واسلوب ابتزاز الضحكات الذى كنت اتبعه معهـم مـدعياً ان دمـى خفيـف ومحاولاً ايهامهم بانى خفيف الظل واشياء من هذا القبيل وطبعاً كان لازم يتحملونى لانهم اهلى وجحا اولى بلحم حبيبه وبعدين طبعاً ايامها مكنتش لسه اتعرفـت علـى ناسي حلوين زيكم كده ممكن يسمعوا اللى باقوله .

واكتر حاجة ممكن يعملوها انهم يشتموا فيا او يقطعوا الكتاب لكن مش ممكن اى حاجة توصلنى لانى ساعتها حاكون قاعد متحصن فى بيتنا ويمكن كمان اكـون لابس واقى الاسلحة الكيماوية تحسباً ان الزعيم السابق صدام حسين يقـرا الكتـاب ويكون لسه مخزن شوية كيماوى من اللى قوات التحالف الامريكى لسه قاعدة فـى العراق لحد دلوقتى بتدور عليه !! ويفكر يضربنى بالاسلحة الكيماوية وطبعـاً مـش حافتح اى جوابات من القراء علشان الجمرة الخبيثة .

ولكنى حريص على ان اهدى هذا الكتاب اهداءاً خاصاً لروح خالى لواء القوات المسلحة الراحل سمير مصطفى اكثر شخصية عرفتها فى حيـاتى فـى خفـة الـدم والجاذبية الحوارية والوحيد الذى كان يمكن ان ينتزع اغلى الضحكات فـى اصـعب الاوقات بخفة دمه الفطرية وقدرته العبقرية على سرد الحكايات الطريفة لدرجة اننى كان يمكن ان اسمع منه حكاية عايشتها بنفسى او سمعتها من اخـرين لكـن تظـل حكايته ذات مذاق مختلف .

وهو اول من علمنى درساً عملياً ان خفة الدم والشخصية المرحة لا تتعارض ابـداً مع الوظائف الهامة طالما ان الانسان يستطيع عمل توازن بـين طبيعـة وظيفتـه وشخصيته المرحة وانه ليس هناك ارتباط بين الوظيفة الكبيرة والتجهم وثقل الـدم لان احترام الناس نكتسبه من قوة شخصيتنا وحـب الناس لنا و لـيس من التكـبر

والتعالى على خلق الله ورغم حساسية وظيفته فى القوات المسلحة الا ان ذلـك لـم يفقده لحظة خفة دمه وروحه الكوميدية ..

اخيراً الشكر الذى ارغب فى تقديمه هو شكر ممزوج بالاعتزاز لكل العـاملين فى شركة اوربت للانتاج الفنى والتوزيع بداية من المدير التنفيذى لاوربـت مـصر الاستاذ طارق الكاشف والاستاذ مصطفى السقا مدير وحدة الانتاج والمشرف العـام على الاعداد وكل الموظفين والعاملين فى الشركة من ارفع المناصب الادارية والفنية وحتى الفنيين والعاملين فى البوفيه ومـوظفى الامـن علـى تعـاملاتهم الايجابيـة وابتسامتهم الدائمة التى وفرت لى حالة مزاجية طيبة اتاحت لى استكمال هذا الكتاب الذى بدأته قبل عملى فى الشركة ولكنى خلال سنوات عملى فى الشركة تمكنت مـن اعادة صهره وبلورته بالشكل الذى كنت احلم به ..

وان كان الشكر لكل العاملين فى الشركة هو شكر على دعم غير مباشر فـانى اخص بالذكر العاملين فى وحدة التقارير الخارجية على دعمهم المباشر لـى سـواء بالتشجيع او التحفيز او فتح المجال لافكار جديدة والاهم من ذلك وهو اتاحة الفرصة امامى لاستعراض العديد من النماذج البشرية التى يصلح بعضاً منها لاعـداد كتـاب كوميدى كامل عن تصرفاته وتناقضاته وغيرها .. وان كنت قد وعدتهم بذلك بـاننى سوف اكتب كتاب كامل عنهم يمكن ان يتطور الى فيلم سـينما او مسلـسل اسـتغل خلاله كل الملاحظات والمعلومات التى حرصت على استنباطها طوال فترة وجـودى بينهم مستغلاً قدرتى على المشاهدة والتحليـل واعـادة قـراءة النمـاذج البـشرية والاحتفاظ بالوقائع فى ذاكرتى والتى اتاح لى وجودى كطرف محايد فى اغلبهـا ان اكون اقرب للراوية او الشخص الذى تتجمع عنده الخيوط مما يجعـل مـن اعـادة افرازى لها تجربة ممتعة .

ولكنى افضل بالطبع الانتظار ٥٠ عاماً قبل كتابة هذا الكتاب او المسلسل او الفيلم حتى يكون معظم ابطاله قد رحلوا عن مسرح الحياة منعاً للاحراج ويمكن ساعتها اكون انا كمان رحلت والورثة يكملوا المسلسل .

والشكر هنا واجب لجميع العاملين في الوحدة دون تمييز سواء من تركوا المكان خلال رحلة العمل او ما زالوا موجودين والشكر على اتاحتهم الفرصة الدائمة لى للوجود فى مناخ يساعد على استخراج المواقف الكوميدية واللمحات الضاحكة نتيجة لروح الاسرة والاخاء والحب التى تسيطر على الجميع وتشيع روحاً من البهجة قلما توجد فى اى بيئة عمل اخرى وتجعل كل يوم جديد هو فرصة جديدة لجمع المزيد من المواقف الساخرة لدرجة انى حلمت اكثر من مرة بان تكون معى كاميرا مفتوحة الذاكرة لتسجيل كل تلك الوقائع والمواقف التى يصلح كل منها موضوع مقال ساخر او مشهد كوميدى فى احد الافلام . تلك الروح الجميلة التى تجعل اى شخص يفكر اكثر من مرة قبل ان يترك المكان وتجعل من يخرج من المكان لفرصة عمل افضل يفتقد كثيراً تلك الروح وذلك الجو البهيج الذى يشمل المكان . بداية من المشرف على وحدة التقارير الخارجية المدير الوسيم على بليل ذلك الشخصية النادرة والذى عملت تحت قيادته مدة طويلة لم اشعر خلال لحظة منها انه مدير وفى وجهة نظرى هذا هو قمة النجاح فى الادارة فقد تعودت ان اراه دائماً غير متكلفاً فى اى شئ بداية من ملابسه ونهاية باسلوب حديثه مروراً بكل تعاملاته مع باقى العاملين . ورغم اختلافاتنا الكثيرة فى قضايا العمل ورغم ان حواراتنا احياناً تكون اشبه بحوار الطرشان فلا هو يريد ان يسمعنى ولا انا اريد ان اقتنع ولكن الاهم انى لم امل من محاولة الكلام وهو لم يمل من محاولة الاقناع مما يجعل محاولاتنا للتواصل فى منتهى الكوميديا ومثار ضحكات لكل المتابعين .

بل انى فكرت كثيراً فى تأليف نظرية كاملة عن العلاقة بين الموظف والمــدير مــن خلال خبرة تعاملاتى معه على ان اجعل عنوانها كيف " تغضب مــديرك وتحترمـــه" لأننى اعرف جيداً الاشياء التى تصيبه بالعصبية واصر علي تكرارها وهو يعلم جيداً انى لى اسلوب خاص فى التعامل يصمم على الا يعاملنى به ولذلك مفيش حــد فينـــا بيطلع من التانى بحق ولا باطل . الا اننا طوال تلك الفترة بعيدا عن تلــك الخلافـــات المهنية التقليدية السخيفة لم نفتقد لمحات انسانية جميلة لا يمكن ان انساها ولا املك الا ان اشكره عليها .

اما روح الوحدة الحقيقية وترمومتر العمل فى المكان ودينامو التقارير الفتـــاة الرشيقة ريما السويحلى (لا لا آسف ديه غلطة مطبعية .. معلش اصلى كنت باكتب موضوع تانى .. هى مش رشيقة ولا حاجة بس ممكن نخليها رشيقة هو يعنى على بليل يعنى كان وسيم ولا علشان ده المدير .. صحيح بلد بتاعة شهادات !!)

وهى حدوتة انسانية كاملة باعتبار ان حواديتى كتير فهى الوحيــدة بــشهادة الجميع التى يمكن ان تغير من الجو العام فى الوحــدة ويمكــن ان تــشيع البهجـــة بوجودها وتسحب البهجة بغيابها وهى الشخصية الوحيدة التى يمكن ان تشعر بعـــدم وجودها فى المكان رغم اقتناعك الكامل باهمية الاخرين الا ان ريما تظل حالة خاصة بل اننى لا ابالغ اذا قلت اننى لم اصادف فى حياتى تلك النوعية من الشخصيات التى لا يختلف عليها احد الا فيما ندر وريما واحدة من هولاء . وحتى كتابة هذه السطور لم اكتشف بالمصادفة اى شخص لا يحب ريما ولن اقول يكرهها وذلك لانك بمنتهـــى البساطة لا تملك ان تكرهها. ورغم كل مميزاتها الا انى اعترف بان لها قدرة عجيبة على الالحاح المنتظم فهى تستطيع ان تلح فى طلب شئ فى العمل لدرجة انها يمكن ان تصل بك الى مرحلة ان تفعل الشئ لا عن اقتناع لا سمح الله ولكن رغبـــة فـــى اتقـــاء محاولاتها المستمرة للزن والالحاح او علشان تريح دماغك ...

لكنها تظل وحدها التى يمكن ان تملأ المكان بروح لطيفة من خلال مداعبتها البسيطة احياناً والسخيفة فى احيان كثيرة الا انك فى كل الاحوال لا تستطيع ان تتضايق منها وهذا ما يجعلنى اقول دائماً ومن الذى لا يحب ريما ؟

ولهذا فاننى ادين لها بشكر مزدوج على الدعم المتواصل الذى تقدمه لى فى كثير من الموضوعات المهنية والشخصية وكذلك على ابتسامتها الدائمة التى تضيف لى روحاً متصلة من التفاؤل ساعدتنى بدرجة كبيرة فى اتمام هذا الكتاب وفى مواقف اخرى متعددة .

ولا يمكن ان انسى المخرجة عزة شعبان واشكرها على دعمها لى فى كثير من موضوعات العمل منذ بدأت العمل فى اوربت وكذلك لا يمكن ان اتجاهل اشراكى لها عن عمد فى قضايا كثيرة تخصنى وبصراحة انا لما باقولها على حاجة باجيب من الاخر لاننى اعلم ما لها من احترام ومهابة عند الجميع ولكنى اطالبها بان تخفف من حدة انفعالاتها لان الدنيا ما تستاهلش !!!

ولا احب ان اطيل فى الشكر ولا اريد ان انسى احد ولكنى احرص على توجيه الشكر للجميع من يحبنى او من .... لا يحبنى لانهم كلهم ساعدونى بشكل او باخر وخاصة حبيبى ولكن حبيبى من يكون ؟ فتلك حكاية اخرى ولها كتاب اخر ....

****

المؤلف فى سطور

* حاصل على بكالوريوس الاعـــــــلام عام ١٩٩٨ من قــسم الــصحافة بكليــة الاعلام فى جامعة القاهرة .

* عمل فى العديد من المجلات المصرية والعربية منهــا مجلــة " كــلام النــاس " ومجلة " الغد العربى " ومجلة " كلمتنا " ومجلة " الاستاد " .

* عمل فى مجال الاعلام المرئى فى التليفزيون المصرى فى قناة المنوعات بقطــاع النيل للقنوات المتخصصة .

* ساعد فى اخراج الفيلم التوثيقى " انقاذ كلاسيكيات الســـينما المــصرية " الــذى شارك فى عدة مهرجانات دولية وعربية .

* له اسهامات فى المكتبة الرياضية العربية حيث قدم موسوعة "حدوتــة افريقيــة " عن تاريخ بطولة الامم الافريقية لكرة القدم .وكتاب " الفرسان العرب فى المونديال " عن المشاركات العربية فى كأس العالم لكرة القدم .

* عمل محاضراً زائراً فى قسم الاذاعة والتليفزيون بكلية الاعلام فى جامعة القاهرة.

* يعمل حالياً فى مجال الاخراج التليفزيونى بشركة اوربت للانتاج والتوزيع الفني .